مظاهر الحضارة الإنسانيَّة في شعر ابن دراج القسطلي (ت ٤٢١هـ)

إعداد
رضا مرسى

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، الصادق الوعد الأمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فلا يذكر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، إلا ويقفز إلى الأذهان اسم الأندلس، ويسرح الخيال في جمالها وعظمتها ، وما حيك حولها من أساطير وروايات تأسر العقل وتخلبُ اللُّب.

ولا غروَ أنَّ الذي أحلَّ الأندلس تلك المكانة الرفيعة ، والمنزلة الكبيرة ، ذلك التمازج والتلاقح الفكري والحضاري بين الحضارة الوافدة الجديدة والحياة العربية الأصيلة، فقد قدر للأندلس في تلك الحقبة أنْ تحملَ مشعلَ العلمِ ، والفنِ ، والمعرفةِ ، وهاجًا ساطعًا قويًا ، يأتي إليها طلاب العلم من كل فجٍ عميقٍ، ينهلون على يد فقهائها وعلمائها شتى أنواع العلوم، وصنوف المعرفة الإنسانية.

منذ بداية وجود الشعر وهو يحمل على عاتقِهِ رايةَ التَّعبير عن الإنسان، وجميع أفكاره وعواطفه وآماله، فهو حاجة من حاجات الإنسان يرسمُ من خلالِهِ أحلامه عن الجمال والخير والعدالة والحق، ومن الجدير بالذكر أنَّ الشاعرَ الحقيقيَّ هو الذي يغوصُ في أعماق الإنسان ويكون قادرًا على تصوير أحاسيسه وتطلعاته، ونقل همومه ورغباته، فيكون شعره عبارة عن طاقة هائلة تصور الحياة في أبهى صورها، وبالتالي يجعل الإنسان يعرف نفسه ويدرك طبيعته مما يولد داخله حبًّا لنفسه وأخيه الإنسان، ولذلك كان ابن داج من أبرز الشعراء الذين اتجهوا إلى هذا النمط من الشعر الإنساني.

وبناءً على ذلك تناولت هذه الدراسة ظاهرة **(مظاهر الحضارة الإنسانيَّة في شعر ابن دراج القسطلي(ت ٤٢١هـ)**؛ إذ احتلت هذه الظاهرة حيزا كبيرا في شعره؛ حتى باتت هذه الظاهرة سمة امتاز بها عن شعراء عصره.

ولا شكَّ أنَّ الأخلاقَ والفضائل الإنسانيَّة التي يتحلى بها الإنسان والسلوك الذي يؤمن به ويرتضيه شعارًا له في حياتِهِ وفي معاملاته يعودُ في معظمه إلى مدى نحضره وإلى درجة رقيه وإلى الذوق العام الذي يسيطر عليه في فكره وفي نظرته إلى الحياة وفي تعامله مع الآخرين(١).

ويقصد بالإنسانيَّة "كل معنى مثالي يخدمُ الإنسان ويساعد في رقيه وتطوره وتهذيبه، ويُسهم في إيجاد واقع سعيد له"(٢).

والإنسانيَّة تعني – أيضًا – السمو بالحياة البشرية، وتحطيم كل العقبات التي تحول دون ذلك، بحيث يصبح العالم أمة واحدة، لا تفرقها حواجز من وطن أو جنس أو لون، ولا تحدها عصبيات من دين وغير دين، وهي مجموعة من وجهات النظر الفلسفيَّة والأخلاقية التي تركز بشكلٍ رئيس على قيمة الإنسان فرداً كان أم جماعة وترتبط بالقيم والمعاني التي تحلى بها المجتمعُ الأندلسيُّ، وترتبط – أيضًا– بالحقوق الإنسانيَّة التي تمتع بها الأندلسيون برغد العيش، وغيرها من مظاهر الحضارة.

وبذلك تصبح الإنسانية نزعة عالمية، يريد أصحابها أن تعم العالم كله روابط واحدة، فلا أبيض ولا أسود، ولا شرقياً ولا غربياً، ولا مسلماً ولا مسيحياً، فالعالم يهدف إلى أن الاتحاد. كان أسرة، ثم كان قبيلة، ثم أصبح أمة، ولابد أن تتلاصق وحداته، فتذوب كل عنصرية، ويصبح الناس إخوة في نطاق من الإنسانية، لا تحده غير السماء والأرض(٣).

ومن ثم فإن الإنسانية تهدف إلى إصلاح الجنس البشري سعياً وراء الكمال والمعرفة، ووصولاً إلى حقيقة الإنسان المطلقة البعيدة عن كل الشوائب، وهي بذلك تكون قوة روحية عظمى تخاطب عقل الإنسان وضميره وجوهره(٤).

وقد دفعني إلى دراسة هذا الموضوع ما يلي :

---

(١) علي إبراهيم أبو زيد: الأثر الحضاري في شعر عدي بن الرقاع العاملي، ص ١١١.
(٢) محمد السيد سلامة نصر: النزعة الإنسانية لدى شعراء العصر العباسي الأول، ص ١٥، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالزقازيق، ١٩٩٨م.
(٣) شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص ٥٨، ط ١٠، دار المعارف.
(٤) محمد مفيد قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص ٢٨، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت.

أولاً : أن هذا البحث سيكشف اللثام عن جانب مهم في شعر ابن دراج هو الجانب الإنساني؛ لتكتمل صورة الشاعر الذي دارت حوله دراسات أخرى انفردت بدراسة شعره .

ثانياً : إظهار محاسن الحضارة الإنسانية التي حاول كثير من علماء وأدباء الغرب إخفاءها وطمس معالمها أو ذكرها – إذا اضطر إلى ذلك – ناقصة مشوهة .

ثالثاً : الكشف عن القيم والمعاني الإنسانية وكذلك الحقوق الإنسانية التي لا تزال بحاجة إلى دراسات عديدة تسبر أغواره وتكشف جوانب الجمال والبهاء والأصالة في شعر ابن دراج .

أما عن أهمية الموضوع

استعراض العوامل التي أدت إلى اتساع دائرة مظاهر الاتجاه الإنساني في شعر ابن دراج، ومدى إمكانية توظيف هذه المظاهر للنهوض به، وتتأكد أهمية الموضوع أنَّ الشاعر لم يُدرسْ دراسة من الناحية الإنسانية، ضمت مزايا شعره عامة من خلال القيم والحقوق الإنسانية، الأمر الذي دعاني لاختيار الموضوع؛ ليكون مجال الدراسة هذه .

الدراسات السابقة :

تعدَّدت الدراسات حول ابن دراج وشعره ، وتناولت الدراسة بعض مظاهر الحضارة في شعره . ومن الدراسات التي أشارت إلى بعض مظاهر الحضارة في شعر ابن دراج :

– " الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي " للدكتور أشرف علي دعدور ، حيث أشار د. دعدور إلى وصف بعض مظاهر العمران ، والأدوات القتالية والانتصارات الحربية ، ووصف كذلك في إيجاز بعض مظاهر الطبيعة الكونية في خلال حديثة عن الصورة الفنية .

– " شعر ابن دراج القسطلي " للباحث محمد السيد دسوقي ، الذي أشار إلى وصف بعض المظاهر الطبيعية كالحدائق والأزهار ، وتناول بالوصف "الحمامات" كأحد المظاهر العمرانية .

– " ابن دراج حياته وشعره " للباحث سالم محمد الوسطاني ، تناول فيها عرض البيئة الحضارية التي عاش فيها ابن دراج ، ثم تناول وصف أحد بساتين سرقسطة ، كما أشار إلى قدوم أحد السفارات النصرانية على خلفاء وملوك الأندلس .

– " الاغتراب في حياة ابن دراج " للباحثة روضة بنت بلال بن عمر ، حيث بيَّنت إقبال ابن دراج على التنقل بين عديد من المدن الأندلسية مما أتاح له مشاهدة الكثير من مظاهر الحضارة الأندلسية التي سجلها في شعره ، ثم أشارت إلى أحد ملامح التجديد في مقدمة القصيدة ، فذكرت أمثلة لبعض القصائد التي يبدأها ابن دراج بالحنين إلى وطنه قرطبة ويشكو فيها من مرارة البعد عن أهله وأسرته في خلال حديثها عن أثر الغربة في بناء القصيدة في شعر ابن دراج .

كما تنتهج الدراسة – كذلك – سمة **المنهج الموضوعي** في تناول ومناقشة قضايا القيم والموضوعات الإنسانية، واتبعت الإجراء الوصفي؛ فهو معنيٌّ بتوصيف النص الأدبي وتصنيفه، ثم التحليل الموضوعي لهذه النصوص الأدبية من أجل الخروج بنتائج بحثية دقيقة تحقق أهداف الدراسة وتطلعاتها.

وتنقسم هذه الدراسة إلى **ثلاثة مباحث** مسبوقة بمقدمة وتمهيد ومذيلة بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

أولا : التمهيد

أ) الحضارة لغةً و اصطلاحًا :

قال ابن منظور في لسان العرب : " والحِضارَةُ : الإقامة في الحَضَرِ؛ عن أَبي زيد. وكان الأَصمعي يقول:الحَضارَةُ ، بالفتح ؛ قال القطامي :

فَمَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أَعْجَبَتْه فأَيَّ رجالِ بادِيَةٍ تَرانَا

ورجل حَضِرٌ : لا يصلح للسفر . وهم حُضُورٌ أَي حاضِرُونَ ، وهو في الأَصل مصدر والحَضَرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ : خلاف البادية ، وهي المُدُنُ والقُرَى والرِّيفُ ، سُميت بذلك لأَن أَهلها حَضَرُوا الأَمصارَ ومَساكِنَ الديار التي يكون لهم بها قَرارٌ " (٥) .

الحضارة من حيث الاصطلاح :

يقول ابن خلدون : " والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله ؛ فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً " (٦) .

ويعرفها حسين مؤنس بقوله " هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود . سواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية " (٧) .

ويرى أحمد شلبي أن الحضارة " شرح لأحوال المجتمع الثقافية والفنية والعلمية والصناعية مع بيان طرق معيشته ، وذوقه ، وروحه العامة ، وطرق تفكيره ومستوياته المختلفة التي تطبعه بطابع مميز " (٨) . يتضح مما سبق أن الحضارة في أوسع معانيها تعني الرقي الفكري والتقدم المادي في مختلف الميادين والأنشطة ؛ مما يُيَسِّر الطريق إلى تحقيق حياة إنسانية أفضل .

---

(٥) جمال الدين بن منظور : لسان العرب ، مادة (حضر) ، طبعة دار المعارف ، ١٩٨١م .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : المقدمة ، ص ١٦٢، دار الشرق العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، جـ١ ، ص ١٧٢ ، دار الطباعة الخديوية ببولاق ، سنة ١٢٨٤هـ .

(٧) حسين مؤنس : الحضارة ، ص ١٣ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت ، ١٩٧٨م .

(٨) أحمد شلبي : المناهج الإسلامية ، ص ٢٠ ، ط ٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م .

ويعرف ول ديورانت الحضارة بقوله " الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي " [٩] .

وهكذا يبدو لنا أنه من الصعب وضع تعريف محدد لكلمة الحضارة ؛ لأن المؤلفات الكثيرة التي تناولت حضارات الأمم المختلفة لم تتفق على مفهوم واحد في تعريف الحضارة أو أسلوب دراستها .

ب) – التعريف بالشاعر :

مما لا شك فيه أن " معرفة حياة المؤلف مفيدة في تفسير إبداعه وإلقاء الضوء عليه ، كما أنّ عمله الأدبي ضوء كاشف لما استتر من حياته أو انطوى في خبايا صدره ، كلاهما يفسِّر ويفسَّر ، يأخذ ويعطي " [١٠] ، ومن ثَمَّ سأحاول إلقاء الضوء على حياة ابن دراج وسيرته في الصفحات التالية :

اسمه ولقبه وكنيته :

هو " أبو عمرو أحمد بن محمد العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دَرَّاج[١١] الأندلسي القَسْطَلِّي " [١٢] ، ويلقب بالقَسْطَلِّي ، نسبة إلى قَسْطَلّة دراج ، ويكنى أبا عمر [١٣] .

مولده ونسبه :

---

(٩) ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـــ١ من المجلد الأول ، ترجمة زكي نجيب محمود ، ص ٣ ، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٥٦م .

(١٠) الطاهر أحمد مكي : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص ٣٦٥ .

(١١) " وقد ذكره ابن فضل الله العمري باسم " ابن الدراج " بإضافة أداة التعريف وهو يتفرد في ذلك دون جميع المترجمين " ، انظر محمود مكي : مقدمة ديوان ابن دراج القسطلي ، ص ٢١ ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، ١٩٦٨م .

(١٢) بن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، م١، ص ١٣٥ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

(١٣) ابن بشكوال : الصلة ، ق١ ، ص ٤٠ ، ترجمة رقم ٧٧ ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨م .

وكانت ولادة ابن دراج في المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة [١٤] " في قرية من أعمال جَيَّان تدعى قَسْطَلَّة دَرَّاج [١٥] ، إذ كان أجداده قد سكنوها وتداولوا رياستها ، وأسرته تنتمي إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي استقرت في هذه المنطقة منذ فتح الأندلس " [١٦] .

نشأته :

ولا يعرف شيءٌ عن نشأة ابن دراج الأولى ، ولكن يبدو من شعره أنه نشأ نشأة أدبية وتزود بثقافة لغوية وتاريخية ، فقد " ألحقه أبوه منذ نعومة أظافره بكُتَّاب حفظ فيه القرآن وبعض الأشعار على عادة لداته ، حتى إذا أتم حفظ القرآن انتقل إلى حلقات الشيوخ بجَيَّان فاتسعت ثقافته اللغوية والأدبية . ويبدو أن ملكته الشعرية تفتحت مبكرة ، فأخذ ينظم الشعر حتى عُرف بين شعراء بلدته ، ولم يلبث أن تزوج وأنجبت له امرأته بنتاً وطمحت نفسه إلى الشهرة ، فرأى أن يرحل إلى قرطبة محاكياً بذلك بعض شعراء جَيَّان ممن سبقوه إليها ونالوا فيها غير قليل من الشهرة " [١٧] .

أسرتـه :

أما أسرة ابن دراج فكانت مرموقة الشأن ، فقد تداول جَدُّه الأعلى دَرَّاج وبنوه على رياسة مدينة قَسْطَلَّة موطن الشاعر ومن هذا البيت المرموق تخرج متنبي الأندلس إلى الوجود [١٨] .

---

(١٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، م١ ، ص ١٣٨ .

(١٥) وقد ذكر " ابن سعيد " في كتابة المغرب أنَّ ابن دراج من قسطلة أخرى في إقليم جَيَّان بموسطة الأندلس وليس من قسطلة الغرب . انظر ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، جـــ٢ ، ص ٦٠ ، وقد رجح الدكتور محمود مكي رأي ابن سعيد ؛ لأنه أعرف الناس بإقليم جَيَّان بوجه خاص ، فهو موطنه وموطن أسرته ، انظر محمود مكي : مقدمة الديوان ، ص٣٢ .

(١٦) الطاهر مكي : الروائع من الأدب العربي ، جـــ٥(القرن الرابع الهجري) ، ص ٢٣١ ، المجلس الأعلى للثقافة .

(١٧) شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات . الأندلس ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(١٨) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب : جـ٢ ، ص ٦٠ .

والابن الوحيد الذي احتفظت كتب التراجم لنا ببعض أخباره من أبناء الشاعر هو الفضل بن أحمد بن دَرَّاج القَسْطَلِّي ، أديبٌ شاعرٌ ، وله حظٌ من البلاغة يجري في الشعر والرسائل على طريقة أبيه ، وهو من شعراء إقبال الدولة بن مجاهد الذي حَكَم دانية والجُزُر الشرقية بعد وفاة أبيه ممدوح ابن دراج سنة ٤٣٦هـ (١٠٤٤- ١٠٤٥) [١٩] .

أساتذته :

ولا نعرف شيئا عن الأساتذة الذين أخذ عنهم ابن دارج " وأغلب الظن أنَّ ابن دراج بدأ حياته الدراسية تلميذاً يتردد على مجالس الشيوخ وحلقاتهم في جَيَّان ولعل دراسته في تلك الفترة المبكرة من حياته لم تكن تختلف عما يتلقاه أمثاله من الصبيان من حفظ القرآن ، وإلمام بمبادئ النحو واللغة والأدب والأخبار والأنساب والفقه " [٢٠] .

ثقافته :

أما عن ثقافة الشاعر فقد كان ذا ثقافة واسعة خاصة في التاريخ والأدب واللغة ، وعند مطالعة شعره نرى أنه يتميز " بسِعَة ثقافته الشعرية وامتدادها إلى أبعاد بعيدة الأغوار ، فقد استطاع أن يوظِّف ثقافته الإسلامية ، ويسخِّرها في ديوانه خير توظيف وأفضل تسخير ... وهي ثقافة إسلامية تُستَمد من منابع الثقافة العربية الإسلامية كالقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والأمثال العربية ، والتأريخ الإسلامي بأحداثه ... " [٢١] .

---

(١٩) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٩٤، ترجمة ٧٥٦ ، وابن بَشـــكُوال : الصـــلة، ص ٤٦٤ ، ترجمة ٩٩٦ .

(٢٠) محمود مكي : مقدمة الديوان ، ص ٣٦ .

(٢١) منجد مصطفى بهجت : الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ص ١٥٤ ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل .

آثـاره :

يُعَد ابن دراج القَسْطَلِّي " من أغزر الشعراء الأندلسيين شعراً ، بل أكثر شعراء العربية نِتاجاً فقد خلَّف ديواناً ضخماً . أكثره من القصائد الطوال التي يغلب عليها طول النفس " (٢٢) ، كما ترك نثرا قليلاً ، ووصف ابن بسام شعره ونثره بقوله " وقد أتيتُ أنا من شعره بما يَبْهَرُ نيّرات الألباب ، ويُظهر خَفِيَّاتِ الأسباب ومن نثره ما يَبْهَرُ العقول ، ويباهي الغُرَر والحجول ، ويُسامي التّيجان والأكاليل ، ويُسَهِّل التقليد والتأويل " (٢٣)

وفاتـه : توفي ابن دراج بمدينة دانية (٢٤) ، وكان ذلك ليلة الأحد لأربعَ عشرةَ ليلةً بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة الموافق الثاني والعشرين من شهر يونية سنة ١٠٣٠م (٢٥) ، وكان قد ناهز السبعين من عمره .

المبحث الأوَّل: القيم والمعاني الإنسانية التي تحلى بها الأندلسيون:-

مدخل:

---

(٢٢) أحمد هيكل : الأدب الأندلسي ، ص ٣٠٨ .

(٢٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق١، جـ١ ، ص ٥٨ .

(٢٤) مدينة بشـرقي الأندلس . على البحر عامرة حسـنة ، لها ربض عامر، وعليها سـور حصين ، ولها قصبة منيعة جداً ، وهي على عمارةٍ متصلة ، وشجر تينٍ كثيرة ، وكروم ؛ وبها دار لإنشاء السفن ، ومن دانية أبو عمرو الداني المقرئ المعروف بابن الصَّيْرَفِيّ . انظر عبد المنعم الحميري : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعاصرة في خبر الأقطار ، تعليق ليفي بروفيسال ، ص ٧٦ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م .

(٢٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان م١ ، ص ١٣٨ ، الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٠٠ ، ترجمة رقم ١٨٦ .

كان الإنسان هو المخلوق المفكر، وهو القيمة الإنسانية العليا في هذا الكون، ولولاه ما كان هناك حضارة تشاد، ورقي يعم مختلف بقاع الأرض كان "منوط به نشر المبادئ السامية والمثل العليا بين الناس والدعوة إلى الإخاء الإنساني، والعمل على قيام مجتمع أمثل يسوده العدل والرحمة والمحبة والحنان، وهو ما تهدف إليه الإنسانية"(٢٦).

وكان للمدينة الإسلامية تأثيرها في الاتجاه البشري "فصارت طباع الناس وعقولهم تتغير في فصل الربيع، وبدأت القلوب العاصية الجافة ترق وتخشع، وبدأت مبادئ الإسلام وحقائقه تتسرب إلى أعماق النفوس وتتغلغل في الأحشاء، وبدأت قيمة الأشياء تتغير في عيون الناس، والموازين القديمة تتحول وتخلفها الموازين الجديدة، وأصبحت الجاهلية حركة رجعية كان من الجمود والغباوة المحافظة عليها وصار الإسلام شيئًا راقيًا كان من الظرف والكياسة الانتساب إليه، والظهور بمظاهره"(٢٧).

ومن هنا فإن سلوك الفرد المسلم يعد "ترجمة عملية لمبادئ الإسلام، وتنفيذًا واقعيًا لهداية القرآن، وإذا صار بين الناس كان الصورة المادية على الأرض للمبادئ الروحية في الكتاب داخله إيمانًا واعتقادًا، ويقيم الدنيا من خارجه سلوكًا وتحصيلاً"(٢٨).

وقد عالج الشعر الأندلسي مفاهيم الأخلاق والفضائل "الإسلامية، وكان صورة لما جاء به الإسلام من نظام متكامل يعالج مناحي شتى في الحياة، ومن أنظمته التي أرساها بقرآنه الكريم وحديثه الشريف، النظام الخلقي، الذي يجعله وصيًا على الأنظمة الأخرى لأنه غاية في حد ذاته"(٢٩).

وقد دعا ابن حزم الأندلسي إلى التمسك بالأخلاق والفضائل الإنسانية، لما لها من أثر فعال في صلاح الإنسان وسعادته وصلاح المجتمع كذلك وسعادته، ومن هذه الفضائل، فضيلة الصدق وفضيلة النزاهة، والقناعة، والحلم، والجود، والشجاعة، والعفة

(٢٦) طه عبد الحميد زيد: النزعة الإنسانية في شعر معروف الرصافي، ص ٥٤، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
(٢٧) أبو الحسن الندوي: الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي، ص ٦٧، دار القلم، الكويت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
(٢٨) عبد اللطيف محمد عامر: القرآن والقيم الإنسانية، ص ٣٥، ط١، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
(٢٩) منجد مصطفى بهجت: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، ص ٢١٨.

والعدل، والوفاء، والوقار"[٣٠].وإذا كان الشاعر ذا خلق إنساني يحمل رسالة المثل العليا إلى البشر ليهديهم، فقد حمل ابن دراج لواء الترويج للقيم والمبادئ الإنسانية فظل ينادي بها ويمدح من يتحلون بها.

وتتجلى مظاهر الحضارة الإنسانية في شعر ابن داج من خلال فكرتين رئيستين:

الأولى: القيم والمعاني الإنسانية التي تحلى بها الأندلسيون.

والثانية: الحقوق الإنسانية التي تمتع بها الأندلسيون وجعلتهم ينعمون بالحياة الرغدة السعيدة في ظل مظاهر الترف والحضارة.

وتتعدد القيم والمعاني الإنسانية عند الأندلسيين ومن الممكن إجمالها فيما يلي:

التسامح الديني:

كان التسامح الديني في الأندلس أمراً مطلقاً، إذ ترك المسلمون للمسيحيين حرية الاحتفاظ بدينهم، وعلاقاتهم بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت عليه قبل الفتح بل بلغ حلم العرب في إسبانيا النصارى مبلغاً كبيراً، حتى كانوا يسمحون لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر إشبيلية النصراني الذي عقد في سنة ٨٢٧م ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد في سنة ٨٥٢م[٣١].

وفي عهد العرب أيضاً أنشأ المسيحيون كثيراً من دور العبادة حتى أنه كانت لهم في طليطلة وحدها ست كنائس. ورخص لهم بالمحافظة على كنيستهم الكبرى. وأخيراً اشتريت منهم بثمن غال جداً[٣٢].

ومن ذلك يلمح ابن دراج يصف تسامح المنصور بن أبي عامر ، يقول:

يقول من (بحر الطويل) (٣٣).

وكمَ رَدَّ عَنْ نَفْسِ ابْنِ شَنْجٍ سِهامُها وَقَدْ أَغرقتْ نَزْعاً وأَمكَنَها رَمْيـا
طَلِيقُكَ من كَفِّ الإسارِ وَقَدْ هَوَتْ بِهِ الرَّقِمُ الرَّقْماءُ والمُوبِدُ الدَّهْيـا

(٣٠) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق د. الطاهر مكي، ص ١٨٦: ١٨٨، ط٢، دار المعارف، ١٩٩٢.

(٣١) جوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٤٢، ط الحلبي سنة ١٩٤٥م.

(٣٢) جوزيف ماكيب: مدينة المسلمين في إسبانيا، ص ٥٤.

(٣٣) الديوان، ص١٤٥، ١٤٦

فَحَكَّمْتَ فِيهِ حَدَّ سَيْفِكَ فَاقْتَضى وشاوَرْتَ فِيهِ الفَضْلَ فاسْتَعجمَ الفُتيا
فأَخَّرْتَ عَنْهُ حُكْمَ بَأْسِكَ بالرَّدى وأَمْضَيْتَ فِيهِ حُكْمَ عَفْوِكَ بِالبُقْيــا

الإخاء:

هو "لباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة أو زوج حل في أجسام متعددة"(٣٤).

ومن شروط الإخاء "أن يكون المرء يسوءه ما يسوء الآخر ويسره ما يسره فما سفل عن هذا فليس صديقاً ومن حمل هذه الصفة فهو صديق"(٣٥).

ويتجلى الإخاء في أبهى صوره أثناء المحن والشدائد التي قد يمر بها الإنسان في حياته فيستطيع أن يفرق بين الصديق الحق وغيره ممن يدعون الصداقة(٣٦).

واستطاع ابن دراج بمساعدة الخطوب والمصائب التي توالت عليه في ديار الغربة أن يعرف معنى الإخاء ومعنى الصداقة، ومدى عمق هذه الصداقة، ويقول من (بحر المتقارب) (٣٧).

وَقَدْ ضَرَّسَتْنِي حُرُوبُ الخُطُوبِ وأَبْطَأْتِ يَا نُصْرَةَ الأَوْلِياءِ
وعُرِّفْتُ فِي نَكَباتِ الزَّمانِ بِكُنْهِ الصَّدِيقِ ومَعْنى الإِخاءِ

وإخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين لا تناصر العصبيات العمياء، بل تناصر المؤمنين الصالحين لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وردع المعتدي وإجارة المهضوم(٣٨).

ويصف ابن دراج أثر الإخاء الذي ساد بين الطوائف الأندلسية المتناحرة، بعد المصالحة بينهم والقضاء على العصبيات القبلية، فردت الحقوق إلى أصحابها وأصبح الجميع في الله أهل وإخوان، واجتمع شملهم بعد تفرقهم، وزال ما بينهم من عداوة، وامتلأت قلوبهم بالحب والمودة،

مفردات البيت: السماط؛ السماط؛ الجامعة من الناس، وسماط القوم: صفهم. لسان العرب، مادة سمط، شام الشيء: حزره وقدره.

(٣٤) محمد الغزالي: خلق المسلم، ص ١٥٥، مكتبة نهضة مصر، ط ١٨، ٢٠١٠م.

(٣٥) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، ص: ١٤٧، ١٤٨.

(٣٦) روضة بنت بلال بن عمر المولد: الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره، ص ١٥٨.

(٣٧) الديوان، ص ٢٦٨

(٣٨) محمد الغزالي: مرجع سابق ص ١٥٨.

يقول من (بحر الطويل) (٣٩).

وأصبحَ أهلُ الحَقّ فِي دارِ حقّهِمْ ونحنُ لهم فِي الله أهلٌ وإخوانُ
وأُنِسَ شَمْلٌ بالتفرُّقِ مُوحِشٌ وحَنَّ خليطٌ بالصبابة حَنَّانُ
ورَدَّ جِماحَ الغَيِّ من غَرْبِ شَأْوِهِ وبُرِّدَ قلبٌ بالحفيظةِ حَرَّانُ

المساواة:

ومن مبادئ الحضارة الإنسانية كذلك "مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية"(٤٠)، والمساواة مبدأ إنساني قويم دعا إليه الإسلام بين الناس جميعاً، منكراً ما كان شائعاً في الجاهلية، من التفاخر بالأنساب، والتناحر في الأحساب، والتطاول بالمال والجاه، داعياً إلى إزالة الفوارق بين الناس جميعاً(٤١).

والمساواة التي شرعها الإسلام في تطبيقها "هي المساواة بين جميع أفراد رعاياها، في الحقوق، والواجبات: مدنية، أو سياسية، أمام القانون، وأمام القضاء"(٤٢).

وقد تجلى ذلك في شعر ابن دراج، في المساواة ففي تطبيق أحكام القضاء بين جميع الناس الأقارب والأباعد على السواء، يقول في بعض القضاة' يقول من (بحر الوافر) (٤٣).

وأحكاماً بَتَتْنَ العدلَ حَتَّى تقاسَمَها الأَباعِدُ بالسَّواءِ

ويجب تحقيق مبدأ المساواة بين الأبناء، وقد جعل ابن دراج أبناءه أمام حنانه وعطفه سواء، وقسم بينهم كل ما يملكه في الدنيا، وذلك من سمات الأخلاق الحضارية، يقول من (بحر المتقارب) (٤٤).

وكَمْ ضَرَبُوا بِقِداحِ الحُنُوِّ عَلَيَّ ففازُوا بِقِسْمٍ سَوَاءِ
وَقَدْ أَسلَمَتْهُمْ سمائي وأَرْضِي فلا مِنْ ثَرَايَ ولا مِن ثَرَائِي

الأمانة:

(٣٩) الديوان، ص ٥٠
(٤٠) أبو الحسن الندوي: الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي، ص ٦٨.
(٤١) مجمع البحوث الإسلامية: حقوق الإسلام في الإسلام ورعايته للقيم والمعاني الإسلامية، ص ١٧٦.
(٤٢) المرجع السابق: ص ١٧٧.
(٤٣) الديوان، ص ٢٧١
(٤٤) الديوان، ص ٢٨٧

الأمانة فضيلة إنسانية جليلة، تصان بها حقوق الله وحقوق الناس، وتحرس بها الأعمال من دواعي التفريط والإهمال، وهي ترمز إلى معان شتى، مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه(٤٥).

وكان عبد العزيز ابن أبي عامر أميناً في كل أعماله، مثل جده المنصور، فكان أميناً فيما وكل إليه من مهمة قيادة الجيوش وتحمل أعباء الحروب والمعارك؛ ومن ثم كان تالياً للمنصور في كل فخر، وتابعاً له في كل فضل، من (بحر الوافر) (٤٦).

وأنتَ أمِينُهُ فِي كل سَعْيٍ سَقى نَهَلاً لِتُتْبِعَهُ بِعَلّ
محافِظُ عَهدِهِ فِي قَوْدِ جَيْشٍ بأعباءِ الوقَائعِ مُسْتقِلّ
وتالي شَأوِهِ فِي كلّ فَخْرٍ وثاني سَعْيِهِ فِي كَلّ فَضْلِ

وقد حافظ المؤتمر عبد العزيز ابن أبي عامر على الأمانة التي كلف بها أمام الله تعالى، ولم يضيع حقوق الناس، ولم ينقض عهوده معهم؛ ولذا كان عهده يتسم بالهدى والرشاد، ومن الأمانة محافظة الأبناء على مجد آبائهم وأجدادهم الذين تركوه بعد موتهم، ويبدو ذلك في قوله يمدح عبد الملك بن المنصور(٤٧): يقول من (بحر الطويل) (٤٨).

وَ مُؤْتمَنٍ للهِ مُسْتَــحْفَظٍ لَــهُ لما ضاعَ من حقّ وَمَا خاسَ من عَهْدِ
تَجَلَّى لَنا فِي مَطْلعِ المُلكِ فَانْجَلَتْ بِهِ ظُلُمــاتُ الغَيِّ فِي سُبُلِ الرُّشْــدِ

ومن صور الأمانة عند ابن دراج محافظته على حبه لمحبوبته، وذلك بالشوق الذي يغلي ويثور في قلبه، وبالدموع الغزيرة التي تسيل على خده، وكأنها دين عليه يقضيه عنه غرامه وحبه لمحبوبته، من (بحر الكامل) (٤٩).

ولقد حَفِظْـتُ لَــهُ أَمانَــةَ لاعِجٍ بالشَّوْقِ يَغْلي فِي الفؤادِ غليلُهُ
وضَرَبْتُ من دَمْعِي عَلَى خَدِّي لَهُ غُرْماً غرامِي بالقَضَاءِ كَفِيــلُهُ

الوفاء:

(٤٥) محمد الغزالي: خلق المسلم ص ٤١.
(٤٦) الديوان، ص ٤٠٣
(٤٧) الديوان: ص ٣٨١.
(٤٨) الديوان، ص٤٢٦
(٤٩) الديوان، ص ١٦٩

من الصفات النبيلة التي يتحلى بها صاحب الخلق الكريم الوفاء، وهو الالتزام بالعهد والمحافظة عليه وعدم نقضه والغدر فيه، وقد حث الإسلام على الوفاء، فأمر الله المؤمنين بالوفاء في كثير من آيات القرآن الكريم فقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ }**، **وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ}**، **وحث (صلى الله عليه وسلم)** على الوفاء وعدم الغدر، فقال **(صلى الله عليه وسلم): "حسن العهد من الإيمان"**(٥٠).

ومن اقدس العهود التي يلتزم المرء بها، العهد الذي بينه وبين الله، على أن يلتزم بطاعته، فيجب الوفاء به، والله أحق دائماً بالوفاء(٥١).

ويشير ابن دراج إلى وفاء الأندلسيين بعهودهم مع الله، فيصف منذر بن يحيى بأنه من المخلصين الذين صدقوا في عهدهم مع الله على التضحية بالنفس في سبيله؛ فجزاهم ربهم بالثناء عليهم، والفوز بجنة الخلد ثمناً لأعمالهم الصالحة، فقد أضاءوا الدنيا بهديهم، وطهروا الأرض من الشرك وعبادة الأوثان، يقول من (بحر البسيط) (٥٢).

مِنَ الَّذِينَ وَفتْ للهِ بَيْعَتُهُـــمْ فأَخلصوا العهدَ إيماناً وأَيمانـا
باعوا نُفوسَهُمُ من ربِّهِمْ فَجُزُوا خُلْدَ الثَّناءِ وخُلــدَ الفوزِ أَثْمَانــا
فأَشرَقَتْ سُبُلُ الدنيا بهدْيِهِـمُ والأَرْضُ قَدْ شَرِقَت كُفراً وأَوْثانــا

ومن معاني الوفاء "الثبات على الحب، وإدامته إلى الموت معه"(٥٣)، ونجد ابن دراج حريصاً على الوفاء بعهده مع محبوبته حتى لو نقضته، ويرعى هذا العهد بشوقه وحنينه الدائم إليها، يقول : من (بحر الطويل) (٥٤).

ستَرْعى وفاءَ العهدِ لي إن نَقَضْتَهُ لواعِجُ بَثٍّ فِي هواكِ مُعاهِدِي

(٥٠) حسين على عثمان حسين: الجوانب الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص ١١٦، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٧.
(٥١) حسين علي عثمان حسين: مرجع سابق، الصفحة نفسها.
(٥٢) الديوان، ص ١١٠
(٥٣) صلاح الدين بسيوني رسلان: الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ص ٢٨٣، ط١، مكتبة نهضة، الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
(٥٤) الديوان، ص ٣٤٤

ومن الوفاء تقديم الشكر، والعرفان بالجميل، فلا ينبغي للإنسان أن يجحد فضل من أنعم عليه، فما في ذلك وفاء، ولا إنصاف، ولا عرفان للجميل(٥٥)، فالوفي يرى أنه "من الجور أن لا يقارض من وثق به أو من أحسن إليه... وأن يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء"(٥٦).

وقد عاش ابن دراج في ظل المنصور بن أبي عامر "فأطلب في مدحه بطول القصائد، معترفاً بالجميل شاكراً لذلك الرضى"(٥٧)، فمن مدائحه فيه قوله(٥٨):

والإنسان الفاضل هو الذي لا يغدر في حياته مع عدو أو صديق. فالغدر من الأخلاق الذميمة التي تجرد صاحبها من الكمال الإنساني، وإذا شاع الغدر في قوم أو جماعة فرق بينهم وقطع روابط المحبة والمودة وتركهم أعداء متخاصمين لا يعرفون للود ولا للصفاء طريقاً ومن أجل ذلك كان الوفاء من الصفات التي يجدر التحلي بها والمحافظة عليها(٥٩).

ويصف ابن دراج الغدر بأنه من أقبح الصفات التي قد يتصف بها الإنسان، ويستدل على ذلك بأن الشمس لو غدرت لأصبحت أقل حجماً من نجم السها الضئيل، وأن الجبال لو فشا فيها الغدر لأصبحت مثل الحصى من قبح هذا الغدر، يقول(٦٠):

من (بحر مجزوء الكامل) (٦١).

والغَدْرُ أَقْبَحُ مَـــا تَزَو ... وَدَ مَنْ دَنا أَوْ مَنْ نَأَى
لو تَغْدِرُ الشَّمْسُ انْتَهَتْ ... فِي دُونِ مقدارِ السُّها
أَو دَبَّ غَدْرٌ فِي الجِبا ... لِ لَعُدْنَ أَمثالَ الحَصى

العفو:

(٥٥) علي النجدي ناصف: الدين والأخلاق في شعر شوقي، ص ٣١٨، ط مطبعة كوستاتوماس، ١٩٤٨م.
(٥٦) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير، ص ١٨٦.
(٥٧) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص ١٩٣.
(٥٨) الديوان: ص ٤٥٦.
(٥٩) حسين علي عثمان حسين: الجوانب الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص ١١٦.
(٦٠) الديوان: ص ٤٤٨.
(٦١) الديوان، ص ٤٤٨

ومن القيم والمعاني الإنسانية التي تجلت في شعر ابن دراج العفو عند المقدرة، والعفو هو الصفح عن ذنب المذنب، والإغضاء عن زلاته وهفواته(٦٢). وقد حث الله تعالى رسوله والمؤمنين في القرآن الكريم على العفو والصفح عن المسيئين وبشرهم أنه سيجزيهم عن ذلك يوم القيامة الجزاء الأوفى قال تعالى: **{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}**(٦٣).

ولا يكون العفو والمسامحة مروءة لأهل الاستئثار والاستغنام، "وإنما يكون مروءة لأهل الإنصاف المبادرين إلى الإنصاف والإيثار فهؤلاء فرض على أهل الفضل أن يعاملوهم بمثل ذلك لاسيما إن كانت حاجتهم أمس وضرورتهم أشد"(٦٤).

ويدعو ابن دراج للعفو فيرى أن العفو عن المخطئين أحيا لنفوسهم من الموت، وأن الله تعالى قد ضمن الجزاء العظيم لكل من يعفو عند المقدرة؛ لأن العفو أقرب طريق للتقوى، متأثراً بقوله تعالى: **{وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}**. يقولمن (بحر مجزوء الكامل) (٦٥).

وإقالَةُ العَثَراتِ أَحْ يا لِلنُّفوسِ مِنَ الرَّدى
واللهُ قَدْ ضَمِنَ الجَزَا ءَ لِكُلِّ مُقْتَدِرٍ عَفا
وهُوَ الَّذِي أَوْحى بأَن نَ العَفْوَ أَقْرَبُ لِلتُّقى

ويصف المنصور ابن أبي عامر بالعفو والصفح عن جميع الناس رغبة في الجزاء العظيم الذي أعده الله لعباده الذين يسامحون المخطئين ويتركون عقوبتهم، يقول يقول من (بحر الوافر) (٦٦).

وسِعْتَ عبادَهُ صَفْحاً وفَضْلاً عليماً أَنَّــهُ رَبُّ الجــزاءِ
فوالى بالمزيدِ من الأَماني وضاعَفَ بالجزيلِ من العطاءِ

---

(٦٢) صلاح الدين بسيوني رسلان: الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ص ٢٨٣، ط١، مكتبة نهضة، الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
النور الآية ٢٢٦.
(٦٣) شوقي ضيف: الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة/ ص: ١٩١،، دار المعارف، ١٤١٧هـ.
(٦٤) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير، ص ١٥٥.
البقرة الآية ٢٣٧.
(٦٥) الديوان، ص ٤٨٤
(٦٦) الديوان، ص ٣٧١

ويصف أيضاً أبا الحكم منذر ابن يحيى بالعفو عند المقدرة، وأنه إذا اشتد غضبه إما أن يبطش بقوة وإما أن يجود ويصفح، يقول من (بحر البسيط) (٦٧).

إلى الَّذِي حَكَمَــتْ بالعفوِ قُدْرَتُهُ لما دَعَتْهُ المُنى احْكُمْ يَا أبا الحَكَمِ
ومَنْ إذا مَا التَظى فِي صدْرِهِ حَنَقٌ فبارِقٌ صَعِقٌ أو مُغْدِقُ الدِّيَــمِ

وفي عفو القاسم بن حمود وصفحه عن أصحاب الفتن والحروب، يقول يقول من (بحر الكامل) (٦٨).

وإذا الصَّوارِمُ جُرِّدَتْ فِي فتنةٍ عَمْياءَ تُغْمِدُها بسيفٍ مُغمَدِ
ولرُبَّ مُشعَلَةِ الرِّماحِ كَفَفْتَها عَفواً وَمَا زَعْزَعْتَ حَبوَةَ مُرتَدِ

الإيثار:

ومن القيم الإنسانية السامية الإيثار، وهو أن يبذل الإنسان من قوته لمن هو أمس حاجة منه(٦٩)، وقد ضرب لنا الأندلسيون أروع الأمثلة في الإيثار(٧٠)، ومن صور هذا الإيثار الرائع ما ذكره ابن دراج من إيثاره أبنائه على نفسه بالماء، يقول يقول من (بحر المتقارب) (٧١).

مُعنّىً بأفلاذِ قلبٍ حوامٍ تُباري إلى كلّ ماءٍ سمامَهْ
وكلُّهُمُ نَمِرِيٌّ وإنّي لكُلِّ هنالكَ كعبُ بنُ مامَهْ

ويشير ابن دراج هنا إلى ما يذكر عن "كعب ابن مامة" أحد أجواد العرب المشهورين من إيثاره رفيقه النمري بالماء حتى مات عطشاً ونجا النمري(٧٢).

ومن صور الإيثار أيضاً ما وصف به ابن دراج منذر ابن يحيى من إيثاره للناس على نفسه، حتى أنه طلب أحدهم حبه قلبه لجاد بها ولم يتردد. يقول من (بحر الكامل) (٧٣).

يا عاكِفِينَ على المُدَامِ تَنَبَّهُوا وسَلُوا لِساني عن مكارِمِ مُنْذِرِ
مَلِكٌ لوِ استَوهَبْتَ حَبَّةَ قَلْبِهِ كَرماً لجادَ بهــا ولَمْ يَتَــعَذَّرِ

---

(٦٧) الديوان، ص ٤٤٠
(٦٨) الديوان، ص ٦٣
(٦٩) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، ص: ١٢٦.
(٧٠) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص: ٢١٠: ٢١٣.
(٧١) الديوان، ص ٩٧
(٧٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، ج١، ص ٢٩٣، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط٢، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٣م.
(٧٣) الديوان، ص ٤٦٢

الرحمة:

ومن مظاهر الحضارة الإنسانية "الرحة بالضعيف، ومواساة العاجز الفقير"(٧٤)، والرحمة هي العاطفة الحية النابضة بالرأفة والحب(٧٥) لجميع المخلوقات؛ لأن الحب أساس العالم، بل هو سبب وجود المخلوقات(٧٦)، وهي الشفقة في قلوب الأقوياء نحو الضعفاء(٧٧)، ومواساة الفقراء والمساكين والتعاطف معهم تعاطف الأخ مع أخيه فلا يكون هناك بائس ولا حاقد، وإنما يكون التآزر والتعاون بين الناس حتى كأنهم جسد واحد(٧٨).

وقد تميز الأندلسيون بالرحمة والرأفة بالضعفاء والمساكين واليتامى والعطف عليهم؛ لأن الإحسان إليهم والبر لهم من أزكى القربات إلى الله تعالى(٧٩).

ومن الذين شمل عطفه ورحمته أهل الأرض عبد الملك المظفر، فقد عاش الناس في ظل رحمته ونعموا بالأمن والأمان، وتحققت أمانيهم، واستبشروا به لحسن أخلاقه، يقول من (بحر الكامل) (٨٠).

فَعَبَأْتَ للإسلامِ عَطْفَةَ رَحْمَةٍ ... أَلْحَفْتَ أَهلَ الأَرْضِ ظلَّ جَناحِها
وتباشَرَتْ منكَ المُنى لما دَنَتْ ... بِمُيَسَّرِ الشِّيَمِ الكرامِ مُتاحِها

ويذكر ابن دراج رعاية المنصور ابن أبي عامر للفقراء والمساكين والأيتام، ويفخر بصلات جوده التي أصبحت وقاية له من اللئام ووسيلته إلى العلا فيقول: من (بحر الكامل) (٨١).

يا مُوسِعَ الرَّاجِينَ إفضالاً ويا ... مَأْوَى الغريبِ وكافِلَ الأَيتامِ
فَلأَفْخَرَنَّ عَلَى الزمانِ وأَهلِه ... بِصِلاتِ جودٍ من نداكَ كِرامِ
أَصْبَحْنَ لي دونَ اللِّئامِ وِقَايَةً ... وإِلَى علاكَ وَسيلَتِي وذِمامِي

---

(٧٤) شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر ص ٦٠، ط ١٠، دار المعارف، ١٤١٧هـ.
(٧٥) محمد الغزالي: خلق المسلم، ص ١٨٩.
(٧٦) عبد الحي دياب: النزعة الإنسانية في شعر العقاد، ص ٩١.
(٧٧) طه عبد الحي زيد: النزعة الإنسانية في شعر معروف الرصافي، ص ٨١.
(٧٨) شوقي ضيف: مرجع سابق، ص ٥٩، عبد الحليم شلتوت: من توجيهات الإسلام، ص ٣٠٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠.
(٧٩) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص ٣٦٤، ٣٦٨.
(٨٠) الديوان، ص ٣٢٥، ٣٢٦
(٨١) الديوان، ص ٣٦١

وإلى جانب الرحمة والشفقة بالإنسان، دعا الإسلام إلى الرحمة والشفقة بالحيوان والطير رحمة بالغة، وفي شعر ابن دراج ما يشير إلى الرحمة بالحيوان والطير ومن ذلك قوله في المخلوقات حتى الوحوش في الصحراء ووعول الهضاب، فيقول من (بحر المتقارب) (٨٢).

وضيَّفَ حَتَّى وحوش الفَلاةِ وأَهْدى القِرى لِهضَاب الوُعُولِ

ومن مظاهر الرحمة العامة سقي النباتات ورعايتها، وكان منذر ابن يحيى يسقي الأشجار يعتني بها في حالة السلم، إلا أنه كان يضطر إلى قطع ما بدا منها وترك أصولها في التراب في حالة تمرد العدو وعصيانه، يقول ابن دراج(٨٣):

من (بحر الطويل) (٨٤).

وأَيَّةُ أَشجارٍ وسَلْمُكَ سَقْيُها إِلَى أَنْ بَغى فِيهَا فأَيَّةُ أَجْذالِ

وهنا تتجلى المظاهر الإنسانية التي استقاها الشاعر من معجمه الشعري .

إكرام الجار والضيف:

ولعل أهم ما كان يتسم به العربي من فضائل إنسانية رعايته لجاره والمحافظة عليه، في غيابه وفي حضوره يسأل عنه إذا غاب ويتفقد شئون أولاده، ويدافع عنه إذا تعرض للأذى والعدوان، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه(٨٥).

ولم يعن الإسلام بشيء عنايته بالجوار، قال تعالى: **{وَالْجَارِ الْجُنُبِ}**، وقال (صلى الله عليه وسلم): "والله لا يؤمن – يكررها ثلاثاً – من لا يأمن جاره بوائقه" وقال (صلى الله عليه وسلم): "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"(٨٦).

وقد حث ابن حزم الأندلسي على إكرام الجار بقوله: "وحد الجود وغايته أن تبذل الفضل كله في وجوه البر وأفضل ذلك في الجار المحتاج"(٨٧).

---

(٨٢) الديوان، ص ٦٧

(٨٣) الديوان: ص ٢٣٦.

الجذل: ما عظم من أصول الشعر المقطع، مادة جذل.

(٨٤) الديوان، ص ٤١

(٨٥) حسين علي عثمان حسين: الجوانب الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص ٢٢٨.

النساء ٣٦.

(٨٦) مجمع البحوث الإسلامية: حقوق الإنسان في الإسلام ورعايته للقيم والمعاني الإنسانية، ص ٢٨١.

(٨٧) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، ص ١٢٥.

وقد عاش ابن دراج في جوار منذر ابن يحيى حياة كريمة نعم فيها بحقوق الجوار وحسن البلاء، يقول[٨٨]:من (بحر المتقارب) (٨٩).

ونادَيْنَني بِضَمـــانِ النَّدى وحَيَّيْنَني بحياةِ الرَّجـــاءِ
بما استُحْفِظَتْ من حفاظِ الجِوارِ وَمَا أُبْلِيَتْ من حَميدِ البَلاءِ

وإكرام الضيوف والاستبشار بقدومهم يجلب مودتهم ويجمع شملهم، يقول في مدح منذر ابن يحيى[٩٠]:من (بحر الطويل) (٩١).

وبِرُّكَ للأَضْيافِ قَرَّبَ بُعْدَها وبِشْرُكَ بالزُّوَّارِ أَلَّفَ شَمْلَها

الإخلاص:

ومن المعاني الإنسانية التي تحركت في أرجاء الديوان الإخلاص[٩٢]، وهو سلوك يمارسه المؤمن حين يمارس حياته سواء كانت عبادة لله أم معاملة للناس، وهو معرفة للحق والرجوع إليه والنزول على شريعته[٩٣]، ومن ذلك قول ابن دراج في المنصور ابن عامر : من (بحر الكامل) (٩٤).

لا نَظْمُ أَشعارِي ولا نثري ولا صُحُفِي ولا جَهْدُ اللسانِ ولا القَلَمْ
مِمَّا يقومُ بنشْرِ أَيسَرِ مَا طَوى صدرِي من الإخلاصِ فيكَ وَمَا كَتَمْ

والشاعر في هذه الأبيات يعبر عن مدى حبه وإخلاصه الذي يكنه في صدره للمنصور، حتى أن شعره ونثره لا يستطيعان أن يعبرا عن أيسر شيء من هذا الإخلاص.

ومن مظاهر الإخلاص الصدق في العزيمة عند قتال الأعداء، يقول في مدح المنصور ابن أبي عامر، من (بحر الكامل) (٩٥).

صَدَقَتْ بِهِ فِي اللهِ عزمةُ مُخْلِصٍ تركَت ذَمَاءَ الشِّرْكِ رَهْنَ ذَهَابِ

---

(٨٨) الديوان: ص ٢٨٢.
(٨٩) الديوان، ص ٢٨٢
* العطن: المنزل والناحية، اللسان، مادة: عطن.
(٩٠) الديوان: ص ١٨٩.
(٩١) الديوان، ص ١٨٩
(٩٢) محمد السيد أحمد الدسوقي: شعر ابن دراج القسطلي، ص ٧٩، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٨٨م.
(٩٣) عبد اللطيف محمد عامر: القرآن والقيم الإنسانية، ص: ٧٤، ط١، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
(٩٤) الديوان، ص ٥٨٣
(٩٥) الديوان، ص١٤

وهذا الإخلاص قد ملأ قلوب الجنود أيضاً، وهم يتهادون في دروعهم ويستظلون تحت سيوفهم التي صقلت بما تكنه قلوبهم من الإخلاص، يقول مخاطباً المنصور ابن أبي عامر[٩٦]:

الصدق:

الصدق فضيلة إنسانية سامية؛ "لأنه أهم الأسس التي تبني عليها المجتمعات، ولولاه ما بقي مجتمع، ذلك لأنه لابد للمجتمع من أن يتفاهم أفراده بعضهم مع بعض، ومن غير التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا"[٩٧].

وقد طلب الله تعالى إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق فلا يقولوا إلا حقاً ولا يعملوا إلا حقاً، ومن هنا كان الاستمساك بالصدق في كل شأن دعاية ركينة في خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه[٩٨].

كما ينبغي على كل إنسان أن يتحرى صدق ما يسمعه من كلام فلا يجب إلا عن كلام صح عنده قائله[٩٩].

ونجد ابن دراج يصف أحد الوزراء بالتزامه بقول الحق ومسارعته إلى أعمال البر؛ حتى صار متمسكاً بكتاب الله، مرتقياً أعلى درجات العلا والمجد، من (بحر البسيط) (١٠٠).

للبرِّ أَوَّلُ مَا قامَتْ بِهِ قَدَمٌ سعياً وللحَقِّ أُولى نَطْقَةٍ نَطَقَا
حَتَّى غَدا بكتابِ اللهِ معتصِماً يُحْبى بخُطَّةِ عِزٍّ كُلَّما حَذِقَا

ويشهد الصوم للمنصور منذر بن يحيى بالصدق والنهي والعدل والبر، فيقول: من (بحر الطويل) (١٠١).

فناطِقُ صِدْقٍ عَنْكَ بالصِّدْقِ والنُّهى وشاهِدُ عَدْلٍ فيكَ بالعَدل والبِرِّ

---

(٩٦) الديوان: ص ٤٤٦.
الدلاص: الدروع اللينة، اللسان، مادة دلص.
(٩٧) أحمد أمين: الأخلاق، ص ١٨٦، ط٩، مكتبة النهضة المصرية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
(٩٨) محمد الغزالي: خلق المسلم، ص ٣١.
(٩٩) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، ص ١٨٨.
(١٠٠) الديوان، ص ٢٩٠
(١٠١) الديوان، ص ١٥٥

والإسلام يوصي بأن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الصغار، حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها(١٠٢).

وقد شب القاسم ابن حمود على الصدق مثل أجداده من آل البيت، ذوي الأصل الطيب؛ ولذا أحبه الناس وجعلوه عوناً لهم في مواجهة الخطوب ومحاربة المعتدين، يقول ابن دراج:

وبالصدق يستطيع الإنسان أن يحقق آماله وطموحاته، وقد استطاع منذر ابن يحيى بفضل، تحليه بالصدق أن يتولى الخطط العليا في الأندلس، ويسبق غيره في الوصول إليها، يقول:

من (بحر الكامل) (١٠٣).

هُمْ أَنجبوكَ لسانَ صدقٍ عَنهُمُ فَرعاً يطيبُ لنا بطيبِ المَحْتِدِ
وهُمُ رَضُوكَ لكلِّ خطبٍ فادحٍ واستخلفوكَ لكلِّ غاوٍ مُعتَدِ

وفي صدق فرسان المظفر عبد الملك بن المنصور، يقول(١٠٤):

من (بحر البسيط) (١٠٥).

وكم سَبقتَ إليها واحتوَيتَ لَهَا مَدىً جَعلتَ إليها الصِّدْقَ ميدانا

التواضع:

التواضع خلق محمود وسلوك قويم يهذب الإنسان ويجمله، ويرقى بمنزلته عند الله تعالى، قال (صلى الله عليه وسلم): "ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"(١٠٦)، والله سبحانه وتعالى يحب المتواضعين من عباده، ولا يحب المتكبرين؛ لأن التواضع يبرز الجانب اللين من الإنسان، فينجذب الناس إليه، ويحببهم فيه(١٠٧).

(١٠٢) محمد الغزالي: خلق المسلم، ص ٣٤.
(١٠٣) الديوان، ص ٦١
(١٠٤) الديوان: ص ٣٩٤.
(١٠٥) الديوان، ص ١١١
(١٠٦) أحمد عمر هاشم: الأخلاق في ضوء القرآن والسنة، ص ١١١، ط١، دار الفاروق، ٢٠٠٦م.
(١٠٧) عبد اللطيف محمد عامر: القرآن والقيم الإنسانية، ص ١٢٥.

وقد عرفت نفوس الأندلسيين بكثرة التواضع[١٠٨] الذي ينزههم عن العجب والتيه والزهو والكبر والتعالي[١٠٩]؛ ولذا نجد ابن دراج يتغنى بتواضع منذر ابن يحيى مع عظم شأنه وقوة سلطانه، يقول: من (بحر المتقارب) (١١٠).

مليكٌ تواضَعَ فِي عِزّ مُلْكٍ كسا دَهْرَهُ حُلَّةَ الكِبْرِياءِ
مُقَلَّدُ سَيْفِ الهُدى والهوادِي مُتَوَّجُ تاجِ السَّنا والسَّناءِ

ثم يصفه عند خروجه للمصلى وقد تحلى بالتواضع والخشوع، وترفع عن العجب الذي يؤدي إلى الزهو والكبر والتعالي، فيقول[١١١]:

من (بحر الكامل) (١١٢).

في مَنْظَرٍ عَجَبٍ وأَعْجَبُ شَأْنِهِ مَا ذُمَّ من كِبرٍ ومن إِعْجابِ

ومن شدة تواضع منذر بن يحيى صار تكبره محموداً مكرماً، يقول : من (بحر الكامل) (١١٣).

يا مَنْ تَكَبَّرَ بالتَّكَرُّمِ قَدْرُهُ حَتَّى تكرَّمَ أن يُرى مُتكبِّرا

ومنه قوله في بعض رؤساء الكتاب : من (بحر الطويل) (١١٤).

عطاءٌ بلا مَنٍّ وحكمٌ بلا هَوىً وملكٌ بلا كِبْرٍ وعزٌّ بلا عُجبِ

ومن ثمرات التواضع ترك الاختيال والتعاظم على الناس[١١٥]، ويبدو ذلك في قول ابن دراج في مدحه لمبارك ومظفر صاحبي بلنسيه من (بحر الطويل) (١١٦).

ولم أرْ يوماً كَانَ أبْهجَ مَنظَراً وأسْنى وأسْرى فِي القلوبِ وأكْرَما
ولا مَلِكاً قَدْ عظَّمَ اللهُ قَدْرَهُ أَقَــلَّ اختيـــــالاً منكُما وتَعَظُّمــا

العفة:

(١٠٨) ابن بشكوال: الصلة، جـ١، ص ٧٦، جـ٢، ص ٥٦٠، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٣، ص ٨٨.
(١٠٩) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، ص ٢١٨.
(١١٠) الديوان، ص ٢٨٣
(١١١) الديوان: ص ١٥٥.
(١١٢) الديوان، ص ١٥٥
(١١٣) الديوان، ص ١٠٧
(١١٤) الديوان، ص ٨١
(١١٥) أحمد عمر هاشم: الأخلاق في ضوء القرآن والسنة، ص ١١٧.
(١١٦) الديوان، ص ٤٤٢

العفاف هو اعتدال الميل إلى اللذائذ وخضوعه لحكم العقل، وتتضمن هذه الفضيلة أن يكون الإنسان سيد نفسه لا عبداً لشهواته تسيره كما تشاء(١١٧).

وقد تميز الأندلسيون بالطهارة والعفاف عن كل ما حرمه الله(١١٨)، ويشيد ابن حزم بالتعفف ويرى أنه يمكن أن يتحلى به الإنسان إذا امتنع عن ارتكاب المعاصي وحرص على طاعة ربه، وعمل على تحكيم عقله(١١٩)، فيغض بصره وجميع جوارحه عن الأجسام التي لا تحل له(١٢٠)، ويشيد ابن دراج بعفة الخليفة المرتضى، فيصف إعراضه عن النساء اللاتي همن به لقوته وشجاعته، ولكنه قد أعرض عنهن لهيامه بالسيوف والمعارك، يقول من (بحر الطويل) (١٢١).

ومَنْ بَرَّحَ البيضُ الحِسان بوَجْدِهِ فبالبيضِ فِي الهَيجاءِ بَرَّحَ وَجْدُهُ

ومن مظاهر العفة تجنب كل ما يشين الطهر والنقاء، وفي ذلك يقول ابن دراج في القاسم ابن حمود ووصف نسبه القرشي بالعفة والطهارة من (بحر الكامل) (١٢٢).

من كُلِّ رُوحٍ بالعَفافِ مقدَّسٍ فِي كُلِّ جِسمٍ بالسَّناءِ مُقلَّدُ
بَعُدُوا عنِ الرِّجْسِ الذَّمِيمِ وطُهِّرُوا فِي مَنشَأٍ لِلمُنْجِبِينَ ومَوْلِدِ

ومن مظاهر التعفف عدم سؤال الناس مطلقاً بدليل قوله تعالى: **{يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ}**، ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف اقرءوا إن شئتم **{لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}** رواه البخاري(١٢٣).

ويفخر ابن دراج بتعففه الذي أخفى مكانه على الناس، فلم يسمع به أحد، فكان هو وأبناؤه يأكلون الهشيم، ويمتصون الثمار، ويفترشون الأرض، وذلك بعد تبدل حياة

(١١٧) أحمد أمين: الأخلاق، ص ١٩٩.
(١١٨) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٣، ص ٨٧.
(١١٩) صلاح الدين بسيوني رسلان: الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ص ٢٤٣.
(١٢٠) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ١٢٨.
(١٢١) الديوان، ص ٧٠
(١٢٢) الديوان، ص ٦١
(١٢٣) شوقي ضيف: الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة، ص ٢٤٢.

الترف والنعيم التي عاشوها من قبل، فأصبحوا لا يجدون طعاماً ولا شراباً، ومع ذلك فهو يستحيي أن يشكو لأحد سوء حاله، يقول من (بحر البسيط) (١٢٤).

يُخْفِي التَّعَفُّفَ مَثْوانا فلَيْسَ لِذِي أُنْسٍ إلَى وَحْشِنا سَمْعٌ ولا بَصَرُ
نَرْعى الهَشيمَ ونَمْتَصُّ الثِّمارَ وَقَدْ أَظَلَّ أَنهارَنا الأَغصانُ والثَّمَرُ
وتحتَ أَجْنَحَةِ الإشفاقِ حانِيةً حُمْرُ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
إذَا تَضَرَّمَ بالشَّكْوى تَحَلَّلَهُ وَجْهٌ بماءِ الحَياءِ العِدِّ يَنْفَجِرُ

الحلم:

والحلم هو مغالبة شهوة النفس حين الغضب. والعفو عمن أساء إليك[١٢٥]، ولقد تخلق الأندلسيون بالحلم وسعة الصدر[١٢٦]، وبرزت في حياتهم صور مشرفة للحلم ورحابة الصدر.

ولنستمع إلى ابن دراج الذي جعل حلم يحيى منذر أساساً وقاعدة لملكه، واستطاع أن يملأ قلوب الناس بالمحبة، ويستل الحقد والضغينة من قلوب الحاقدين، يقول من (بحر الكامل) (١٢٧).

مُلْكاً رفعْتَ عَلَى القَنا شُرُفاتِهِ وجعَلْتَ حِلْمَكَ أُسَّهُ وقواعِدَهْ
فَمَلأْتَ أَحناءَ الصُّدورِ محبَّةً وسَلَلْتَ أَحقادَ القلوبِ الحاقِدَهْ

ونجده يتغنى بحلم منذر ابن يحيى فجعل اتصافه بالحلم مقصوراً عليه دون غيره، وجعل اتصاف غيره بالحلم ضرباً من الخيال والأحلام، يقول من (بحر الطويل) (١٢٨).

ودَعْوى النُّهى والحِلْمِ فِي غَيْرِ مُنْذِرٍ خيالٌ من الأَحْلامِ أَضْغَثَ حَالِمُهْ

والحليم لا يستفزه التقصير في حقه، ولا يغضب إذا تناوله شخص بقدح أو ذم[١٢٩]، وكان المنصور ابن أبي عامر حليماً إذا غضب، سخياً إذا وهب، يقول من (بحر البسيط) (١٣٠).

مُسْتَحْقِرٌ لِعُبَابِ البَحْرِ إنْ وَهَبَا ومُسْتَكِنٌّ بِرُكْنِ الحِلْمِ إنْ غَضِبا

---

(١٢٤) الديوان، ص ٤٥٠
(١٢٥) حسين علي عثمان حسين: الجوانب الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص ١٥٢.
(١٢٦) ابن بسام: الذخيرة، تحقيق د. إحسان عباس، ف٣، ج٥، ص ٢٠١.
(١٢٧) الديوان، ص ٢٠٧
(١٢٨) الديوان، ص ١٦٣
(١٢٩) شوقي ضيف: الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة، ص ٢٤٥.
(١٣٠) الديوان، ص ٣١١

وقد يشمل الحلم الأعداء، وذلك بمسالمتهم مع التحفظ منهم(١٣١)، ونجد منذر ابن يحيى حليماً مع أحد الثائرين عليه من أهل بيته، فحكم عليه حكم النبي (صلى الله عليه وسلم) في بني النضير) أي بالجلاء دون القتل، مع أن جرائمه وغدره كانت كفيلة بأن توقع عليه حكم رسول (صلى الله عليه وسلم) على بني قريظة – أي القتل –، يقول من (بحر الطويل) (١٣٢).

فلم أَرَ أَمْضَى مِنْكَ حكْماً تَحَكَّمَتْ عَلَى سيفِهِ يَوْمَ الحِفَاظِ مكارِمُهْ
ولا مِثْلَ حِلْمٍ أَنْتَ لِلْغَيْظِ لابِسٌ ولا مِثْلَ غَيْظٍ أَنتَ بالحِلْمِ كاظِمُهْ
فأَوْسَعْتَهُ حُكْمَ النَّضِيرِ وَقَدْ حَكى قُرَيظَةَ منه غِلُّهُ وَجَرائِمُهْ

القناعة:

خاطب الإسلام أبناءه بالرضا والقناعة؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، ويصبح أبناء الإسلام بالقناعة في حال من الاطمئنان إلى ما يصبونه من سعيهم أو ينالونه من ربهم(١٣٣).

وحيث ابن حزم الأندلسي على القناعة بقوله: "اقنع بمن عندك يقنع بك من عندك"(١٣٤).

ولنستمع إلى ابن دراج وهو يفخر بقناعته وتقواه ورجاحة عقله في قوله من (بحر الطويل) (١٣٥).

وأَعليتُ فِي مُلْكِ القناعة همَّتي وهدي الهدى حصني ونهيِ النُّهى قصري

ويؤكد ابن دراج على قناعته، بأنه إذا نفد الرزق من عنده، فإنه يقنع بالقليل ويستحي من سؤال الناس، كما أنه اعتاد على الهزال ولحاف البطن الذي جعله يرى المسلك الوعر سهلاً ليناً، يقول من (بحر الطويل) (١٣٦).

وإِنْ نَفَقَتْ عِنْدي بِضَاعَةُ قانِعٍ تَقَنَّعْتُ مِنْـــها فِي خَزَايَةِ مُعْتَـــرّ
رَجاءَ لِضُمْرٍ طالما قَدْ عَهِدْتُهُ يُريني أَناةَ السَّهلِ فِي المَسْلَكِ الوَعْرِ

الكرم:

(١٣١) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ٢٤٣.
(١٣٢) الديوان، ص ١٦٧
(١٣٣) منجد مصطفى بهجت: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، ص ٢٢٧.
(١٣٤) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ١٧٤.
(١٣٥) الديوان، ص ١٦٠
(١٣٦) الديوان، ص ١٥٩

وقد تميز الأندلسيون في سلوكهم ومعاملتهم مع الناس بكرمهم الذي هو كنار على علم على المرضى واليتامى والأرامل والفقراء... فكانوا يرعون أوامر الإنسانية حق رعاية في الإحسان إلى المرضى والمحتاجين(١٣٧)، وهذا يتلاءم مع طبيعة النفس البشرية الصافية وطبيعة العربي التي فطرت على البذل والجود والعطاء(١٣٨).

ويحث ابن حزم على الجود والكرم بقوله: وابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك أو لم يسألك ولكل من احتاج إليك وأمكنك نفعه"(١٣٩) كالجار المحتاج، وذي الرحم الفقير وذي النعمة الذاهبة، والأحضر فاقة(١٤٠).

وقد وصف ابن دراج كرم وجود المنصور ابن أبي عامر بكرم حاتم الطائي فقد حقق رجاء الراغبين، وعم الجميع بعطائه كما يعم الصحاب الخلائق، يقول من (بحر الطويل) (١٤١).

وجُودٌ تناهى فِي الخلائِقِ وانْتَهَتْ إِلَى حاتِمٍ فِي الأَكْرَمِيْنَ مَناسِبُهْ
تَقَضَّتْ رَجاءَ الراغِبينَ سِجَالُهُ وعَمَّتْ كما عَمَّ الغَمامُ مَوَاهِبُهْ

وقد خص الله سبحانه وتعالى عبد الملك ابن المنصور بصفة الجود والكرم، فكان يجوز بالخير على الناس جميعاً القريب منهم والبعيد. يقول ابن دراج فيه يقول من (بحر المتقارب) (١٤٢).

كما خَيَّرَ اللهُ عَبْدَ المَلِي كِ فاخْتارَ فِي رَاحَتَيْهِ السَّمَاحا
فَعَمَّ القريبَ نَدىً والبَعيدَ ورَوَّى السُّيوفَ دَماً والرِّماحا

حب الوطن:

كان الأندلسيون يتميزون بحبهم الشديد لوطنهم كبلد متميز عن بقية الإمبراطورية الإسلامية، ففيه أمضوا زهرة شبابهم وعاشوا فيه أثناء تجوالهم رجالاً ناضجين؛ ومن ثم

(١٣٧) جوزيف ماكيب: مدنية المسلمين في إسبانيا، ص ٨٢، ابن بشكوال: الصلة، جـ٢، ص ٥٥٤، ٥٥٥.
(١٣٨) حسين علي عثمان حسين: الجوانب الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص ٩٩.
(١٣٩) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ١٤٦، ١٤٧.
(١٤٠) المرجع السابق، ص ١٢٥.
(١٤١) الديوان، ص ٣٢١
(١٤٢) الديوان، ص ٣٤

فقد ظل شعراء الأندلس مولعين بالأرض التي ولدوا عليها رغم كل المعاناة التي تعرضوا لها في شبه الجزيرة في القرن الحادي عشر الميلادي(١٤٣).

كما جعلت أرض الأندلس الطيبة الخصبة من ساكنيها عشاقاً لها، راغبين في الإقامة فيها، زاهدين عن غيرها من بلاد الله، يحنون إليها، ويتغنون بخيراتها، ووديانها، ومياهها وأزهارها، وأسحارها، بشعر صادر عن فيض العاطفة، والإحساسات الرقيقة(١٤٤).

ولعل ابن دراج خير من عبر عن حبه لوطنه، فكان يذكر وطنه الذي سلبه ولم ينسه، بالرغم من الفتن التي آلت إليها ظروف الأندلس بعد سقوط دولة العامريين، بل ظل يحبه ويذكره، يقول من (بحر الكامل) (١٤٥).

وشَوَيْتُ للأَضْيافِ لَحْمَ رَكائِبي فِي نارِ أَحْلاسِي وَفِي أَقْتابي
عِوَضاً مِنَ الْوَطَنِ الَّذِي أَصْبَحْتُ مِنْ أَسْلابِهِ إِذْ كَانَ مِنْ أَسْلابــي

وظلت الأندلس عامة هي وطن ابن دراج الذي يدعو للحفاظ عليه والجهاد من أجله، فالإنسان مفطور على حبه وطنه أياً كان هذا الوطن(١٤٦)، ونرى ابن دراج يذكر وطنه وهو في سرقسطة تحت إمرة منذر ابن يحيى(١٤٧)،يقول من (بحر الكامل) (١٤٨).

يا مُدْنِيَ الأملِ البعيدِ وإِنْ نَأَى ومُبَعِّدَ الخطبِ الجليلِ وإِن دَنا
ومُسَلِّيَ الغرباءِ عن أَوْطانِهِمْ حَتَّى تَبَوَّأَ كلَّ قَلبٍ موطِنــا

والوطن الذي عاش فيه ابن دراج كانت أرضه سخية بلا حدود، فكان يرى حصباؤها ذهباً وجوهراً، يقول وقد قدم على منذر ابن يحيى ملك سرقسطة عام ٤٢٨هـ ، يقول من (بحر الكامل) (١٤٩).

وحللْتُ أَرْضاً بُدِّلت حَصباؤُها ذَهَباً يَرِفُّ لناظِرَيَّ وجَوْهَرا

التعاون:

(١٤٣) هنري بيريس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، ص ١٠٩.
(١٤٤) حسن النوش: التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٩٦.
(١٤٥) الديوان، ص ١٥٣
(١٤٦) محمد السيد سلامة نصر: النزعة الإنسانية لدى شعراء العصر العباسي الأول، ص ٨٧.
(١٤٧) محمد السيد الدسوقي: شعر ابن دراج الفسطلي، ص ٧٨، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٨٨م.
(١٤٨) الديوان، ص ٢٢٠
(١٤٩) الديوان، ص ١٠٥

الإنسان مدني بطبعه(١٥٠)، لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الناس، بل تفرض عليه ظروف الحياة أن يندمج مع الناس وأن يتعاون معهم في كل شيء فيه نفع للإنسانية؛ ولذا يجب على الإنسان أن يقف بجوار أخيه الإنسان وقت الشدائد والأزمات(١٥١).

ومن صورة التعاون مد يد المعونة إلى المحتاج، وإيواء المهاجر، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب، وتأمين الخائف(١٥٢).

وكان الأندلسيون أهل مروءة وتعاون فيما بينهم، يقول عنهم المقري طولهم مروءات على عادة بلادهم، لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه"(١٥٣)، فكانوا يوسعون على الفقراء والمساكين، ويؤوون الغريب، ويكفلون اليتيم؛ مما أشاع روح الأخوة والحنان بينهم، وفي ذلك يقول ابن دراج في المنصور ابن أبي عامر يقول من (بحر الكامل) (١٥٤).

يا مُوسِعَ الرَّاجِينَ إفضالاً ويا مَأْوَى الغريبِ وكافِلَ الأَيتامِ

وكان المنصور ابن أبي عامر مأوى للغريب والراغبين في عطائه، وملجأ للملهوف ومغنماً لمن يقصدون بابه، يقول من (بحر الطويل) (١٥٥).

ولا زِلْتُمُ مأْوَى غريبٍ وآمِلٍ ومَفْزَعَ ملهوفٍ وفُرْصَةَ قاصِدِ

المبحث الثاني: الحقوق الإنسانية في شعر ابن دراج

ومن رحمة الإسلام وحرصه على قيمة الإنسان وعلى حياته قرر له حقوقاً كثيرة في هذه الدنيا يؤديها إليه أبناء جنسه أي كان وكيف كان، حتى يعيش في هذه الدنيا مرفوع الرأس موفور الكرامة كما أحب الله له(١٥٦)، وحقوق الإنسان في الإسلام نابعة من اعتبار إنساني، والإسنان له كرامته، وله شرفه ليضطلع بعبء الرسالة التي كلف

(١٥٠) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٨.
(١٥١) حسين علي عثمان حسين: الجوانب الإنسانية في الشعر الجاهلي، ص ٢٣٥، ٢٣٨.
(١٥٢) محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، ص ٢٨١.
(١٥٣) المقري: نفح الطيب، جـ١، ص ٢٢٣، ٢٢٤.
(١٥٤) الديوان، ص ٣٦١
(١٥٥) الديوان، ص ٣٤٦
(١٥٦) محمد علي سلامة: حقوق الإنسان في الإسلام، ص٨، ط، دار الإيمان والحياة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

بها، ومن ثم فإن حقوقه تقرر في حدود كرامته التي أرادها الله له، وفي ضوء شرفه الذي خلقه الله عليه(١٥٧)، ومن هذه الحقوق:

حق الحياة:

لكل إنسان الحق في الحياة فلا يحل الاعتداء إلا إذا قتل، أو أفسد في الأرض فساداً يستوجب القتل يقول الله تعالى: **{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}**(١٥٨).

وحق الحياة لا يمكن أن يوفر لكل أفراد الأمة ما لم يتوفر لهم وسائل المعيشة التي تحفظ حياتهم(١٥٩).

وعرف الأندلسيون بالحرص على حياتهم(١٦٠)، فكان الحكام الأندلسيون يوفرون لأبناء رعيتهم كل وسائل الحياة الكريمة، ويذكر ابن دراج أن منذر ابن يحيى قد حفظ الأندلسيين من الهلاك والضياع، وكفل لهم حياة آمنة مستقرة في الدنيا، بشجاعته وانتصاراته العظيمة على الأعداء الذين لا هم لهم إلا إزهاق الأرواح، يقول من (بحر الكامل) (١٦١).

ومقادِمٍ فِي يومِ كلّ كرِيهةٍ ... مَا أَقربَ الدنيا لَهُنَّ وأمكنا
حَفِظَ الحياةَ فكانَ أَوْلى باسْمِها ... وسَما إِلَى الظَّفَرِ المُعَلَّى فاكتنى

حق الحرية:

لقد منح الله الإنسان الحرية المطلقة، حتى يشعر بوجوده، لأن الحرية وحدها هي التي تشعره بذلك، فلولاها لما كان هناك معنى لوجود الإنسان على هذه الأرض، ولما كان هناك ثواب وعقاب وخير وشر وبداية ونهاية، فبالحرية يحلق الإنسان في كل فضاء،

(١٥٧) عبد اللطيف محمد عامر: القرآن والقيم الإنسانية، ص ١٧٨.
سورة المائدة: الآية ٣٢.
(١٥٨) السيد سابق: فقه السنة، جـ٣، ص ٧٦.
(١٥٩) أحمد أمين: الأخلاق، ص ١٤٧.
(١٦٠) ابن الخطيب: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ٢٥٥.
(١٦١) الديوان، ص ٢١٨

ويتحمل مسئولية أعماله وتصرفاته، وإذا كان من حدود لها، فإن هذه الحدود هي التي تسمو بالإنسان وتقوده إلى الخير والصلاح(١٦٢).

والحرية كما يعتقد بعض النقاد "هي الجذر الفكري والتربة المعنوية للنزعة الإنسانية، فهي عماد تلك النزعة، وعامل مهم من العوامل التي تدفعها نحو التقدم والازدهار"(١٦٣).

والفرد له أن يمارس أقصى حد من الحرية يمكنه من تحقيق ذاته التي تتحدد بتحقيق الصالح العام(١٦٤). ولفهم الحرية فهماً صحيحاً يجب أن نذكر أنواعها:

الحرية التي هي ضد الاستعباد:

ضيق الإسلام دائرة الاسترقاق. على وجه يكفل محوه والقضاء عليه وشرع وسائل عديدة، وطرقاً شتى لتحرير الأرقاء، وإعتاقهم، كما شرع من الأحكام، والتعاليم، في حسن معاملتهم، ومعاشرتهم، ما يكفل لهم الكرامة الإنسانية، إلى حين تحريرهم(١٦٥).

ومن طرق الإسلام في إزالة الرق أنه خير المسلمين في الأسرى بين المن والفداء قال تعالى: **{فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}**(١٦٦).

حرية الرأي:

ومن حق الإنسان كذلك، أن يبين عن رأيه ويدلي بحجته ويجهر بالحق ويصدع به. والإسلام يمنع من مصادرة الرأي ومحاربة الفكر الحر إلا إذا كان ذلك ضاراً بالمجتمع(١٦٧).

وكان الأندلسيون أهل رأي ومشورة، فيبدي كل منهم برأيه أمام الحاكم دون خوف أو وجل، وخير شاهد على ذلك موقف القاضي منذر بن سعيد من الخليفة عبد الرحمن

---

(١٦٢) طه عبد الحميد زيد: النزعة الإنسانية في شعر معروف الرصافي، ص ٢٢٨.
(١٦٣) محمد السيد سلامة نصر: النزعة الإنسانية لدى شعراء العصر العباسي الأول، ص ١٧.
(١٦٤) إسماعيل: قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، ص ٣١٨، ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٦٨م.
(١٦٥) مجمع البحوث الإسلامية: حقوق الإنسان في الإسلام ورعايته للقيم والمعاين الإنسانية، ص ١٨٧.
سورة: محمد، الآية ٤.
(١٦٦) مجمع البحوث الإسلامية: حقوق الإنسان في الإسلام ورعايته للقيم والمعاين الإنسانية، ص ١٨٧.

(١٦٧) السيد سابق: فقه السنة، جـ٣، ص ٧٧.

الناصر عندما أراد الناصر أن يستمع إلى رأيه في بناء السقف المذهب بقصر الزهراء، فقال له منذر: "والله يا أمير المؤمنين ما ظننا أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العاملين حتى ينزلك منازل الكافرين. قال: فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له: انظر ماذا تقول وكيف أنزلتني منزلتهم. فقال له: نعم الله تعالى يقول: **{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ}**، فوجم الخليفة وأطرق ملياً ودموعه تتساقط خشوعاً لله سبحانه، ثم أقبل منذر وقال له: جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً وعن الدين والمسلمين كل الجزاء وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق. وقام عن مجلسه ذلك هو يستغفر الله تعالى وأمر بنقض سقف القبيبة وأعاد قرمدها تراباً على الصفة غيرها"(١٦٨).

ويشير ابن دراج إلى إدلاء أهل قرطبة بآرائهم ثم اتفاقهم على رأي الوزير القاسم بن حمود، يقول من (بحر الكامل) (١٦٩).

مَنْ ذا سِوَاكَ إِذَا الرجالُ تدافعوا رَأْياً يُؤَلِّفُها برأْيٍ أَوْحَدِ

ونجد ابن دراج يبدي رأيه الذي يتراءى له ويدعمه بمشورة مجاهد العمري الذي أكرمه وأحسن إليه، يقول من (بحر الطويل) (١٧٠).

إليكَ انتهى الرِّيُّ الَّذِي بكَ ينتهي ولاحَ ليَ الرأيُ الَّذِي بكَ يَلتَاحُ

حق الملكية:

منح الإسلام حق الملكية الفردية لكل إنسان، صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، واحترم هذه الملكية وحفاظ عليها(١٧١)؛ لأن في تقرير الملكية الفردية مجال للتنافس الذي يسبب الخير للجميع(١٧٢).

(١٦٨) المقري: أزهار الرياض، ج١، ص ١٩٩، نفح الطيب، ج١، ص ٥٤٤.
(١٦٩) الديوان، ص ٦٢
(١٧٠) الديوان، ص ٤٠٥
(١٧١) محمد علي سلامة: حقوق الإنسان في الإسلام، ١٧.
(١٧٢) أحمد شلبي: المناهج الإسلامية، ص ٣٢.

وحق التملك "يستلزم واجبين: واجب على الناس، وهو أن يحترموا ملكه، فلا يتعدوا عليه بسرقة أو غضب أو نحو ذلك، وواجب على المالك، وهو أن يستعمله أحسن استعمال"(١٧٣).

حفظ الأعراض:

لا يحل انتهاك العرض ولو بكلمة نابية، يقول الله تعالى: **{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}**(١٧٤)، والعرض أعز على الكريم من المال؛ ولذا ينبغي للكريم أن يصون جسمه بماله، ويصون عرضه بنفسه(١٧٥).

وكان الأندلسيون يتميزون بغيرتهم على شرفهم وشهامتهم، وتجلى ذلك في شهامتهم المعروفة في الحروب(١٧٦)، وذكر غوستاف لوبون: "أن أفقر المسلمين كان يحافظ على شرف أسرته، محافظة أشد الرؤساء صلفاً"(١٧٧).

ومن مظاهر حماية العرض، حماية الحريم وعدم المساس بكرمتهن، والدفاع عن حمى الوطن وحماية ثرواته. يقول ابن دراج في مدح منذر ابن يحيى بن منذر يقول من (بحر المتقارب) (١٧٨).

هَلُمَّ إِلَى حيثُ يُؤْوى الغريبُ هَلُمَّ إِلَى حَيْثُ يُحْمى الحريمُ
هَلُمَّ لِعِزٍّ حِمىً لا يُرامُ يَسُحُّ عَلَيْهِ حَيـــاً لا يَرِيـــمُ

الأبوة الحانية (حق التربية):

يجب الاهتمام برعاية الأطفال وحمايتهم من التشرد والضياع، فقد يمرض الطفل ولا يجد من يواسيه، ويشعر بالعوز والفقر ولا مساعد ولا مناصر(١٧٩)؛ ولذا فإن ضرورة مراقبة الطفل من والديه وعنايتهم به يعد أساساً من أسس التربية الحديثة التي يجب أن يتمتع بها الطفل في حياته(١٨٠).

(١٧٣) أحمد أمين، الأخلاق، ص ١٥٧.
(١٧٤) السيد سابق: فقه السنة، جـ٣، ص ٧٦.
(١٧٥) ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ٢٣٠.
(١٧٦) جوزيف ماكيب: مدينة المسلمين في إسبانيا، ص ٨٢.
(١٧٧) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٤٤ ــ ٣٤٧.
(١٧٨) الديوان، ص ٢٢٩
(١٧٩) طه عبد الحميد زيد: النزعة الإنسانية في شعر معروف الرصافي، ص ١٢٩.
(١٨٠) منجد مصطفى بهجت: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي ص ٢٢٩.

ومن مظاهر رعايته لأولاده، أنه يطعمهم من ثمار البستان الذي وهبه له منذر بن يحيى؛ ليسد به جوعهم، ويواسي بها جراحهم من قسوة الحياة، يقول من (بحر المتقارب) (١٨١).

وبُلْغَةُ عيشٍ لمن قَدْ سَتَرْتَ ضعافَ البناتِ وشُعْثَ البَنِينا
نُعَلِّلُهمْ بِجَنى روضِهـــــا إذَا أَوْحَشَتْهُمْ عطاياكَ حِينا
ونشفِي بِهَا بَثَّ مَا قَدْ أَصَبْنا ونأْسُو بِهَا جُرْحَ مَا قَدْ رُزِينا

ومما يدل على اهتمام ابن دراج ورعايته لأبنائه أنه ذكرهم أكثر من عشرين مرة في ديوانه؛ ولذا يرى د. أحمد هيكل أن ابن دراج يكاد يكون أكثر شعراء العربية ذكراً لأولاده، وشكاية من قسوة الأيام عليهم، ومن عجزه عن تحقيق ما يجب لهم(١٨٢).

المبحث الثالث: أثر التشكيل الفني في الحضارة الإنسانية

أولا: أثر الصورة التشبيهية في الجانب الإنساني

إن الصورة الفنية لدى الشاعر ابن دراج وسيلة رئيسة ؛ لنقل أفكاره وعاطفته وهي بذلك عماد العمل الشعري ولولاها لأصبح العمل الشعري مجرد نظمٍ خاوٍ وباردٍ " (١٨٣) .

والتشبيه لغة : الشَّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِهُ : المثل ، والجمعُ أشباهٌ . وأشبه الشيء الشيء: ماثله ... والتشبيه : التمثيل(١٨٤)

اصطلاحاً: هو((صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه(١٨٥)

ونجد ابن دراج يشير إلى ذلك فذكر أن الدنيا أذعنت وخضعت للمنصور ابن أبي عامر، فألقت إليه قيادها لما أحرزه من ملك وحققه من مجد، وسعت إليه المنى وهامت

(١٨١) الديوان، ص ١٩٧
(١٨٢) أحمد هيكل: دراسات أدبية، ص ٢٥٩.
(١٨٣) محمد السيد احمد الدسوقي : شعر ابن دراج القسطلي ، ص ٢١٥ .
(١٨٤) لسان العرب، مادة شبه
(١٨٥)أسرار البلاغة : ٧٨ ..

به كالعاشق الذي يهتدي بنسيم الصبا للوصول إلى المحبوب، يقول ابن دراج يقول من (بحر البسيط) (١٨٦).

أَلقَتْ إِلَى يدِهِ الدُّنيا أَزِمَّتَها فأَحرزَ الأَرْضَ مُلْكاً والعُلا حَسَبا
كَأَنَّهُ والمُنى تَسعى إِلَى يَدِهِ صَبٌّ تَنَسَّمَ من نَحْوِ الحبيبِ صَبا

وبهذا التشبيه استطاع الشاعر أن يوصل المعنى إلى السامع من دون التعامل المباشر لأطراف التشبيه، مستخدمًا أداة التشبيه (كأن)؛ فالصورة المركبة اضافت لهذا التشبيه جماليّةً ورونقاً واتضحت من خلالها المعاني الإنسانية.

ثم يشيد ابن دراج بجود وكرم منذر ابن يحيى الذي كاد أن ينفد ما في خزائنه مثلما لم يبق من أعدائه في معاركه أحداً، فكان يجود على الفقراء والمساكين وابن السبيل الذين أمر الله برعايتهم والبر بهم، يقول من (بحر البسيط) (١٨٧).

ومن يُسيمُ نَداهُ فِي خزائنِـــهِ كَأَنَّه فِي أَعاديهِ وَقائِعُـــهُ
يا واصِلاً بالندى مَا اللهُ وَاصِلُهُ وقاطِعاً بالظُّبى مَا اللهُ قاطِعُهُ

وبهذا العطاء الذي جاد به منذر على الفقراء والمساكين وابن السبيل أرضى ربه، وملأ الأرض فضلاً وبراً في حب الوطن، وكأنه فِي أَعاديهِ وَقائِعُـهُ فوجه الشبه المتعدد يحتاج إلى إعمال الفكر والدقة في النظر فكلما كان التشبيه على ذلك كان أبلغ .

التشبيه المستخدم في المعاني الإنسانية يدل على سمو الشاعر ؛ فهو وسيلة يصل الشاعر بوساطتها إلى نفوس سامعيه للتأثير فيهم وتمكين المعنى الذي يريده مما يوفره التشبيه من الربط بين الأشياء ، وبذلك يكون التشبيه من أكثر الصور قدرة على تصوير المعنى المراد .

ثانيا الاستعارة

الاستعارة لغة : هي طلب العارية ، ومعنى أعارت "رفعت وحوَّلت . قال: ومنه إعارة الثياب والأدوات قال : واستعار فلان سهماً من كنانته أي رفعه وحوّله منها إلى يده (١٨٨).، **وهو** "لون من ألوان التعبير المجازي يقوم على استعارة لفظة لتؤدي معنى

(١٨٦) الديوان، ص ٣١١
(١٨٧) الديوان، ص ١١٨
(١٨٨) تهذيب اللغة : ٣/ ١٦٩.

لفظة أخرى أو استعارة صفة أو اكثر من الصفات التي عرف بها شيء لشيء آخر ليست هذه الصفات من طبيعته(١٨٩).

ويصف ابن دراج المظفر عبد الملك بحبه الشديد لوطنه، ولذا فهو يجود بنفسه في سبيل الله في ساحة المعركة، ومن ثم كان جديراً بأن يخلد الحمد والمدح ذكره في سير الأبطال والمجاهدين، يقول من (بحر الطويل) (١٩٠).

فيا أَنْفَسَ الأَملاكِ نَفْساً وإنَّـــهُ بِهَا فِي سبِيلِ اللهِ يَوْمَ الوَغى سَمْحُ
ويا أَيُّهَا المشغوفُ بالبأْسِ والندى وَمَا زالَ مشغوفاً بِهِ الحمدُ والمدحُ

جمع الشاعر أكثر من استعارة في هذا البيت ، والجمع للاستعارة في شعر ابن دراج يكثف الدلالة ويمنح النص ثراءً في التعبير عن مشاعر المبدع ويحفز المتلقي لرصد هذه الانزياحات ، يدعو كل إنسان أن يكون وفياً لتراب الوطن الذي نشأ عليه وأن يصونه من كل غائلة، وأن يضحي بنفسه من أجله(١٩١)، وبهذه الوطنية يعيش كل فرد صادقاً مخلصاً للحياة، مدركاً واعياً(١٩٢).

ثم يفخر بطاعته وإخلاصه للمنصور منذر بن يحيى، يقول من (بحر الطويل) (١٩٣).

وبحراً سقاكُمْ رِيَّ جودٍ وأَنْعُمٍ فَسَقَّوهُ إخلاصَ الصدورِ ورَوَّوهُ
وسيفاً حَباكُمْ صَفْحَهُ ومضاءهُ فصُوغُوا لَهُ حُرَّ الوفاءِ فَحَلُّوهُ
فقد حتمَ الدهرُ الَّذِي حَلَّ خطبُهُ بأَنْ لَيْسَ إلّا بالمُظَفَّرِ يَجْلُوهُ

مما تقدم أنَّ الاستعارة بأنواعها التي درستها مثلت قمة الانزياح الدلالي إذ جسدت صوراً حسية مؤثرة في القارئ ومحققة المتعة لديه.

ثالثا الكناية

والكناية لغة : ((كنى به عن كذا ، يكني ويكنو ، وكنى فلانٌ عن الكلمة المستفحشةِ يَكْنِي إذا تكلّم بغيرها مما يُسْتدلُّ به عليها (١٩٤).

(١٨٩) معجم المصطلحات الأدبية :٢٧ .
(١٩٠) الديوان، ص ٣٩٤
(١٩١) أحمد عمر هاشم: الأخلاق في ضوء القرآن والسنة، ص ١٢٦
(١٩٢) ثريا عبد الفتاح ملحس: القيم الروحية في الشعر العربي، ص ٣١٣
(١٩٣) الديوان، ص ٢٠٠
(١٩٤) تهذيب اللغة : ١٠/ ٣٧٣ .

وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى ، أو هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين : حقيقةً ومجازاً من غير واسطة لا على جهة الصريح(١٩٥).

وفي جوار منذر أيضاً شعر ابن دراج بعزة الجار واستقرار المقام، فقد دفع عنه الأذى، وحقق آماله فأحس بالسعادة في كنفه. يقول: من (بحر الوافر) (١٩٦).

وفي مَأْوَاكَ عادَ شَرِيدُ رَحْلِي عزيزَ الجارِ مَضْرُوبَ الخِيامِ
فَكَفْكَفْتَ الرَّدى عنّي بِكَفّ تُثيرُ الغيثَ فِي الغَيْمِ الجَهامِ
ولَقَّتْنِي الأَمانِي مِنْكَ وَجْهاً يُنيرُ الأَرْضَ فِي داجي الظَّلامِ

يشيد الشاعر هنا بممدوحه فأتى بكناية عن عزة الجار وحسن المقام، فقد عدل عن التصريح بالمعنى المقصود إلى التعبير عن ذلك المعنى بلفظ آخر يوحي للمتلقي بالمعنى الذي يريده الشاعر، وهذا التعبير كناية عن صفة أي يريد أن يقول : إن ممدوحه كريم وينير الأرض بالخير في غسق الظلام .

ويتضح أنّ الكناية عند الشاعر تعد من الوسائل الفنيّة والجماليّة التي تثير الوجدان وتحرك المشاعر معتمداً على الانزياح ، ليكسب التعبير وظيفة فنيّة تؤثر في المتلقي ، وبذلك تعد الكناية انزياحاً دلالياً يعمد فيه الشاعر إلى الإنتقال من المدلول الحقيقي للفظة إلى المدلول الكنائي لها

الخاتمة

تناول البحث الموسوم "(مظاهر الحضارة الإنسانيَّة في شعر ابن دراج) عدة محاور منها : تمهيد في معنى الحضارة، والتعريف بالشاعر ابن دراج، وتوصل الى نتائج مهمة نذكر منها

أولا : تبين أنَّ للشعرِ علاقةَ وثيقةً بالحضارة فقد كان الشعر وما زال مرآة صافية عكست قيم الحضارة وإنجازاتها الإنسانية والفكرية؛ فهذا الشعر كان بحق سجلاً صادقاً

(١٩٥) مدخل إلى البلاغة العربية :٢١٢، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٣١٠
(١٩٦) الديوان، ص ١٩٠

دون خصائص المجتمع الأندلسي وما اعترضه من أحداث كبرى أثرت فيه، وتركت بصماتها عليه.

ثانيًا: اتضح أنَّ الإنسانية تهدف إلى إصلاح الجنس البشري سعياً وراء الكمال والمعرفة، ووصولاً إلى حقيقة الإنسان المطلقة البعيدة عن كل الشوائب، التي تمتع بها الأندلسيون برغد العيش، وغيرها من مظاهر الحضارة، وأثَّرت جليًّا في شعر ابن دراج القسطلي.

ثالثًا: ظهرت القيم والمعاني الإنسانية في شعر ابن دراج، وتعددت وتنوعت مثل التسامح الديني، كوصفه للمنصور بن أبي عامر مع (شانجة بن غرسية) ملك نبارة الذي وقع في الأسر فعفا عنه وأحسن إليه، وكذلك من القيم الأخرى كالإخاء، والمساواة، والأمانة، والوفاء، والعفو، والرحمة، وغيرها، فالمظاهر الإنسانية أوضحت الخطوط في جنبات ديوان ابن دراج؛ ويشهد بشاعريته التي أصبحت راية للأندلس في التحضر الأخلاقي والسمو بالتعامل الإنساني .

رابعًا : كانت الحضارة الإسلامية في الأندلس تهدف إلى تحقيق الإنسانية المثلى التي تمتع بها الأندلسيون وجعلتهم ينعمون بالحياة الرغدة السعيدة في ظل مظاهر الترف والحضارة، والتي تتوافر فيها القيم الرفيعة، وتتحقق بها الغايات القصوى، وتكفل للإنسان حياة تعترف له بحقوقه الإنسانية في هذه الدنيا وعلى هذه الأرض، وبذلك سجل الأندلسيون في تاريخهم أنصع الصفحات التي تحتاج إليها الإنسانية والتي لم ترق إليها بعد أعظم الحضارات الإنسانية المعاصرة.

خامسًا: كما كان للحضارة الإنسانية أثر بالغ على الصورة الفنية في شعر ابن دراج ، حيث استخدم ابن دراج كثير من مظاهر الحضارة الأنسانية الجديدة في تركيب الصورة ، فكانت مصادر صوره من تشبيه واستعارة وكناية نابعة من معجمه الشعري صادقة وواضحة وبرزت في تشكيله الفني.

المصادر والمراجع

أولاً – المصادر

١. ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد ت ٧٦٦هـ) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

٢. ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٤٩٤هـ : كتاب الصلة ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨م .

٣. ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن سعد بن حزم الأندلسي) ت ٤٥٦هـ: جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، ط٦، دار المعارف .

٤. ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن سعد بن حزم الأندلسي) ت ٤٥٦هـ: طوق الحمامة في الألفة والألاف ص ٧٩ ، ط٦ ، ضبط نصه وحرر هوامشه د.الطاهر أحمد مكي دار المعارف .

٥. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون المغربي) ت ٨٠٨ هـ : العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الطباعة الخديوية ببولاق ، سنة ١٢٨٤هـ .

٦. ابن خلدون : المقدمة ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤.

٧. ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ت ٦٨١هـ : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م .

٨. ابن دراج القسطلي (أبو عمرو أحمد بن محمد العاص بن أحمد بن سليمان بن عيسى) ت٤٢١هـ ، الديوان ، تحقيق د. محمود مكي ، ط٢، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٩هـ .

٩. ابن سعيد (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد) ت ٦٨٥هـ : المُغْرِب في حلي المَغْرِب ، تحقيق وتعليق د. شوقي ضيف ، ط٤ ، دار المعارف .

١٠. ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي) ت ٣٢٨هـ : العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط٢ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م .

١١. ابن عذارى (ابن عذارى المراكشي) ت٦٥٩هـ : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج . س كولان وليفي بروفيسال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩م .

١٢. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) : لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، ١٩٨١م .

١٣. الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح) ت ٤٨٨هـ : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق د . روحية السويفي ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

١٤. الحميري (أبو عبد الله محمد ابن عبد الله المنعم) ت ٤٤٠هـ : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعاصرة في خبر الأقطار ، تعليق ليفي بروفيسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،١٩٣٧م .

١٥. المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني) ت ١٠٤١هـ : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض : الأجزاء الثلاثة الأولى ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري و عبد الحفيظ شلبي ، لجنة الترجمة والنشر ، ١٩٣٩م ، الجزءان الرابع والخامس ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، د. عبد السلام الهراس ، ط١، الرباط ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

ثانياً – المراجع :

١٦. أبو الحسن الندوي: الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي، دار القلم، الكويت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٧. إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، ط١ ، دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٦٠م .

١٨. أحمد شلبي : المناهج الإسلامية ، ط ٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م.
١٩. أحمد هيكل : الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ، ط١١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
٢٠. أحمد هيكل: دراسات أدبية ، ط١، دار المعارف ، ١٩٨٠م .
٢١. ثريا عبد الفتاح ملحس: القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٢. جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ط٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٨م.
٢٣. شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط ١٠، دار المعارف، ١٩٩٩م.
٢٤. صلاح الدين بسيوني رسلان: الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ط١، مكتبة نهضة، الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
٢٥. الطاهر أحمد مكي دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة" ط٤، دار المعارف ،١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
٢٦. الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ط٢، دار المعارف ، ١٩٨٣م .
٢٧. الطاهر أحمد مكي: الشعر العربي ، روائعه ومدخل لقرائته ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٣ م .
٢٨. الطاهر أحمد مكي: دراسة في مصادر الأدب ، ط٧ ، دار المعارف ، ١٩٩٣م .
٢٩. الطاهر أحمد مكي: الروائع من الأدب العربي، المجلس الأعلى للثقافة، لجنة الدراسات الأدبية .
٣٠. طه عبد الحميد زيد: النزعة الإنسانية في شعر معروف الرصافي، ص ٥٤، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣١. عبد اللطيف محمد عامر: القرآن والقيم الإنسانية، ص: ٧٤، ط١، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٣٢. عبد اللطيف محمد عامر: القرآن والقيم الإنسانية، ط١، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٣٣. علي إبراهيم أبو زيد : الأثر الحضاري في شعر عدي بن الرقاع العاملي ، ط١ ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٩٨م .
٣٤. علي النجدي ناصف: الدين والأخلاق في شعر شوقي، ط مطبعة كوستاتوماس، ١٩٤٨م.
٣٥. فوزي سعيد عيسى : الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .
٣٦. محمد مفيد فميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ٢٠٠٠م.
٣٧. منجد مصطفى بهجت : الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين ، ط١، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

ثالثاً - الكتب المترجمة :

٣٨. جوزيف ماك كيب : مدنية المسلمين في إسبانيا ، ترجمة د. محمد تقي الدين هلالي ، ط٢ ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٣٩. غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٢م .
٤٠. ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـ١ من المجلد الأول ، ترجمة زكي نجيب محمود ، ص ٣ ، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٥٦م .
٤١. هنري بيبرس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ترجمة د.الطاهر أحمد مكي ، ط١، دار المعارف ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

رابعاً – الرسائل الجامعية :

٤٢. حسين على عثمان حسين: الجوانب الإنسانية في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٧.

٤٣. روضة بنت بلال بن عمر المولد : الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٤٤. محمد السيد الدسوقي : شعر ابن دراج القسطلي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٩٨٨م .

٤٥. محمد السيد سلامة نصر: النزعة الإنسانية لدى شعراء العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالزقازيق، ١٩٩٨م.